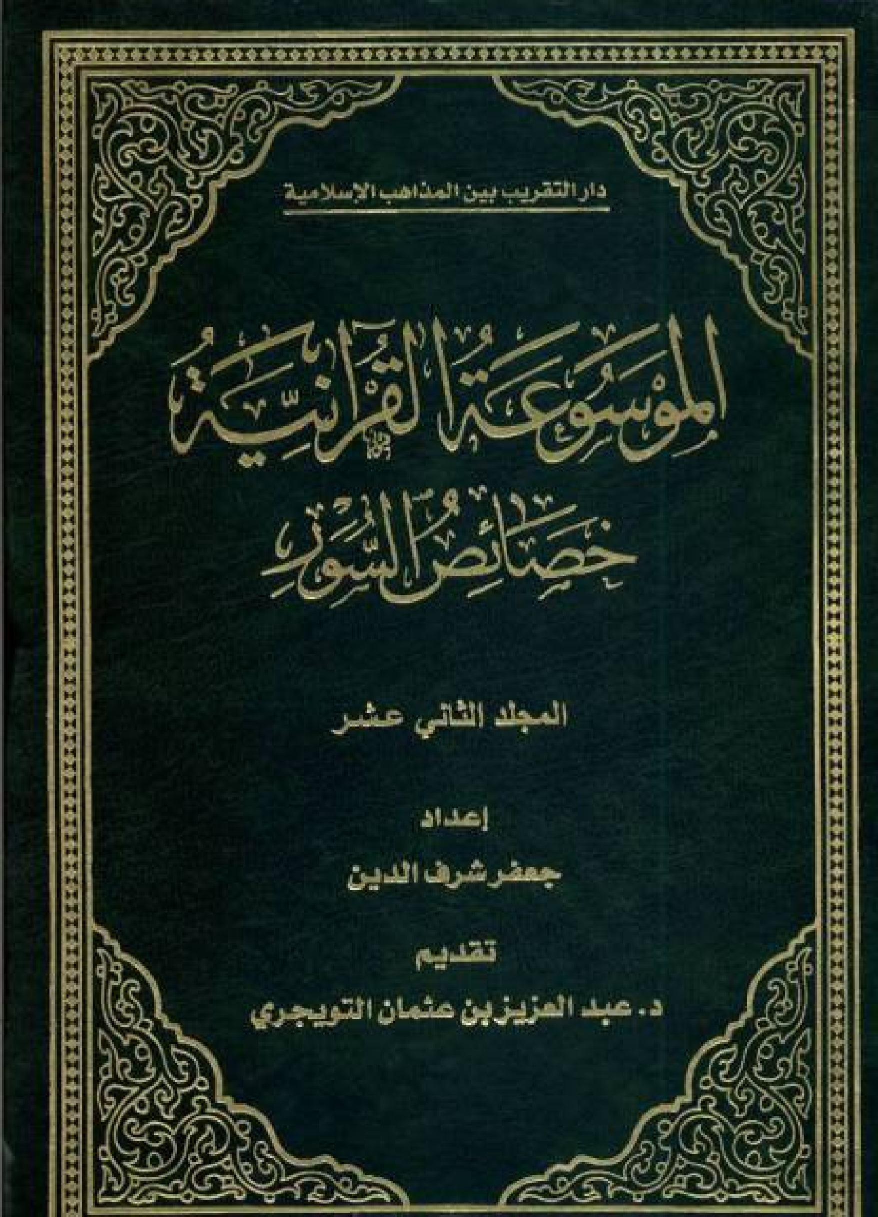


دار التقريب بين المذاهب الإسلامية
الموسوعة القرآنية
خصائص السور
المجلد الثاني عشر
إعداد
جعفر شرف الدين
تقديم
د. عبد العزيز بن عثمان التويجري



الموسوعة القرآنية
خصائص السُّوَر

دار التقريب
بين المذاهب الإسلامية

شارع جان دارك ـ بناية الوهاد
ص.ب ٨٣٧٥ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون ٣٥٠٧٢١/٢ (٠١)
تلفون + فاكس: ٦٠٢٠٢٩ ـ ٣٥٣٠٠٠ (٩٦١١)
e-mail: allprints@netgate.com.lb

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م

الإخراج الفني: زاهية عاصي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة الضّحى

٩٣


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «الضحى»(*)

سورة «الضحى» سورة مكّية، آياتها إحدى عشرة آية، نزلت بعد سورة «الفجر».

والسورة بموضوعها، وتعبيرها ومشاهدها، لمسة من حنان، ويد حانية تمسح على الآلام والمواجع، وتسكب الرِّضا والأمل، إنها كُلّها خالصة للنبي (ص). كلها نَجاءٌ له من ربه وتسرية وتسليةٌ وترويح وطَمْأنة.

ورد في روايات كثيرة، أن الوحي فَتَرَ عن رسول الله (ص)، وأبطأ عليه جبريل (ع) فقال المشركون: إنَّ إِلَهَ محمّد وَدَّعه وَقَلاه. عندئذ نزلت هذه السورة، تنزل هذا الفيض من الود والحب، والرحمة والإيناس والقُرْبى، والطمأنينة واليقين.

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ أي وَحْي الضحى، وهو وقت ارتفاع الشمس، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ أي سكن، والمراد سكون الناس والأصوات فيه. أقسم الله سبحانه بالضحى الرائق، الذي ينتشر فيه الضوء والنور، وتخف فيه حدة الشمس؛ وأقسم بالليل الساكن الهادئ، ليربط بين القسم وجوابه وهو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾، ما تركك ربّك ولا جفاك كما زعم المشركون، وهو ربّك وراعيك وكافلك. ولَلدّارُ الآخرة خير لك من هذه الدنيا، ولسوف يعطيك ربك من الكمالات، وظهور الأمر، وبقاء الذكر ما يجعلك ترضى.

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

وضمَّ الإلهُ اسْمَ النبي إلى اسمِهِ

اذا قال في الخَمْسِ المؤذنُ أشهَدُ

وشقَّ لهُ مِنَ اسْمِهِ ليُجِلَّهُ

فذو العرش محمودٌ وهذا محمَّدُ

ويمضي سياق السورة في تذكير الرسول (ص) بنعم الله عليه فيقول: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ فآواك إليه، وعطف عليك القلوب؟

ولقد كنت ضالاً غير عالم بمعالم النبوة وأحكام الشريعة، متحيّراً لا تجد طريقاً واضحاً مطمئناً، لا في ما عند أهل الجاهلية، ولا في ما عند أتباع الأنبياء الذين حرّفوا وبدّلوا، ثمّ هداك الله بالأمر الذي أوحى به إليك، وعلّمك أحكام الشريعة والرسالة، ولقد كنت فقيراً فأغناك الله بِكَسْبِك، وبمال خديجة، وبما أفاء عليك من الربح في التجارة.

وبمناسبة ما ذكره الله سبحانه من النِّعَم، يوجّه الرسول (ص) ويوجه المسلمين من ورائه الى رعاية كلّ يتيم، وإلى كفاية كل سائل، وإلى التحدّث بنعم الله التي لا تُحصى، ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑨﴾، أي فلا تغلبه على ماله لضعفه، فتسلبه إياه، وأمّا السائل فلا تزجره. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪﴾: وحدّث الناس بما عندك من علم، بسبب إنعام الله عليك بالنبوّة، وكن هادياً دائماً إلى طريق الفوز والفلاح.

والتحدّث بالنِّعمة صورة من صور الشكر للمنعم، يكملها البر بالعباد، وهو المظهر العملي للشكر، ولذلك يقول أبو حامد الغزالي: «شكر النعمة هو استغلالها فيما خلقت له».

فشكر نعمة البصر: التأمل في ملكوت السماوات والأرض، وغضّ البصر عن المحرّمات.

وشكر نعمة السمع: سماع الحق والعلم والقرآن، والامتناع عن سماع الزور والإثم.

وشكر نعمة اليد: أن تكتب بها العلم والحق، وأن تساعد بها، وأن تضرب بها في سبيل الله، وأن تجاهد أعداء الدين، وألاّ تؤذي بها أحداً من المستضعفين.

ونلاحظ أنّ البيئة العربية في الجاهلية كانت تجحد حق الضعيف، وتهمل اليتيم والمسكين، وترى أن السيف هو القوة القادرة، وهو الحكومة المنفذة، حتى جاء الإسلام بأحكامه العادلة، وشريعته السمحة، فدعا إلى الحق

والعدل، والتحرّج والتقوى، والوقوف عند حدود الله، الذي يحرس حدوده ويغار عليها، ويغضب للاعتداء على حقوق عباده الضعاف، الذين لا يمكلون قوّة ولا سيفاً، يذودون به عن هذه الحقوق.

مقاصد سورة الضحى

١ ـ القَسَم بالضحى والليل، على أن الله ما قلا رسوله وما تركه.

٢ ـ وَعْدُ الرسول بأنه سيكون في مستقبل أمره خيراً من ماضيه.

٣ ـ تذكيره بنعمة الله عليه فيما مضى، وأنه سيواليها عليه.

٤ ـ طَلَبُ الشكر منه على هذه النعم.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «الضحى»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الضُحى بعد سورة الفجر، ونزلت سورة الفجر فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة الضحى في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تثبيت النبي (ص) وإيناسه، وكان الوحي قد أبطأ عليه بعد نزوله، فقلق لإبطائه وحزِنَ؛ وقد ذكر سبحانه في تثبيت الرسول (ص) أنه عليه الصلاة والسلام كان يتيماً فآواه، وفقيراً فأغناه، ثمّ أمره بمواساة اليتيم والفقير، وبهذا أشبهت سورة الضحى سورة الليل في بعض سياقها.

تثبيت النبي (ص)

قال الله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ فأقسم بالضحى، وما بعده أنه لم يودعه، ولم يَقْلَهُ بإبطاء الوحي عليه، وضَمِن له حسن العاقبة، وأنه سيعطيه حتّى يرضى؛ ثمّ أمره أن يذكر ماضيه في يتمه وأُمّيّته وفقره، ويذكر حاله الآن

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

في زوج صالحة بعد يتم، ورسالة كريمة بعد أمّيّة، وغنى بعد فقر، ليرضى ويقابل ذلك بالشكر، ثم بيّن له شكره بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.



لكل سؤال جواب في سورة «الضحى»(*)

إن قيل: لِمَ وُصِف (ص) بالضَّالّ، والنبي (ص) معاذ الله أن يكون ضالاً: أي كافراً لاقبل النبوة ولا بعدها، والضالُّ أكثر ما ورد في القرآن بمعنى الكافر؟

قلنا: المراد به هنا أنه تعالى وجده ضالاً عن معالم النبوّة وأحكام الشريعة فهداه إليها، هذا قول الجمهور. الثاني: أنه ضل وهو صغير في شعاب مكة فرده الله تعالى إلى جده عبد المطلب. الثالث: أن معناه ووجدك ناسياً فهداك إلى الذكر، لأنّ الضلال جاء بمعنى النسيان، ومنه قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

فإن قيل: لو كان الضلال بمعنى النسيان، لما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه/ ٥٢].

قلنا: لا ندّعي أنه حيث ذكر كان بمعنى النسيان، فهو في تلك الآية بمعنى الخطأ، وقيل بمعنى الغفلة. الرابع: أن معناه: وَوَجَدَكَ جاهلاً فعلّمك.

فإن قيل: لِمَ مَنَّ سبحانه عليه بإخراجه من الفقر إلى الغنى، بقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ⑧﴾؟

قلنا: قال ابن السائب، واختاره الفرّاء: أنه لم يكن غناه بكثرة المال، ولكن الله أرضاه بما آتاه، ولم يكن ذلك الرضا قبل النبوة وذلك حقيقة الغنى، ويؤيّده قوله (ص): «الغنى غنى

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.

القلب». وقال غيره: المراد به أنه أغناه بمال خديجة عن مال أبي طالب، والمراد به الإغناء بتسهيل ما لا بد منه وتيسيره، لا الإغناء بفضول المال الذي لا يجامع صفة الفقر.

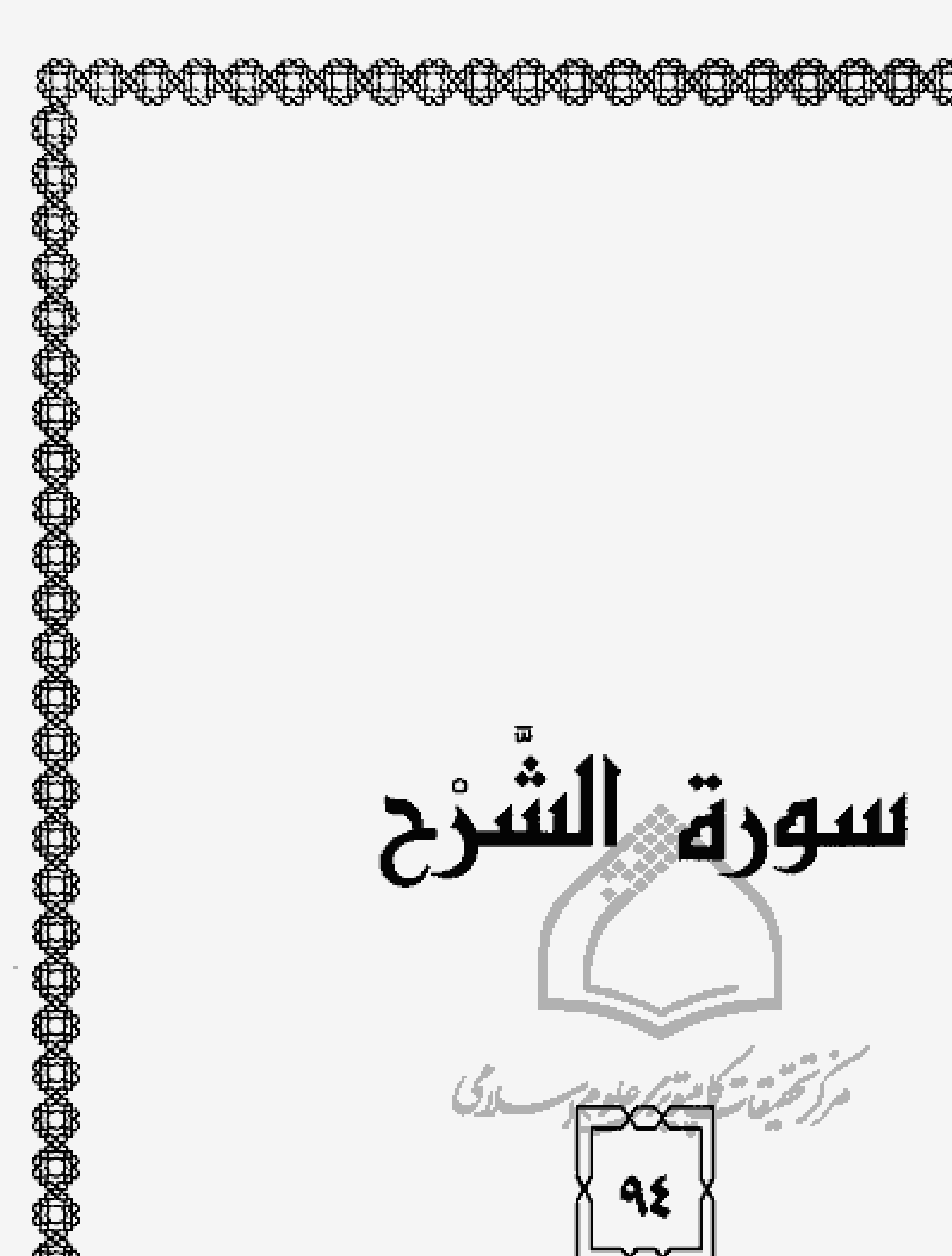


المعاني المجازية في سورة «الضحى»(*)

قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ فيه استعارة. ومعنى سجى، أي سَكن. والليل لا يسكُنُ، وإنما تسكُن حركات الناس فيه، فأجرى سبحانه صفة السكون عليه لمّا كان السكون واقعاً فيه. وقد مضى الكلام على نظائر ذلك.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سورة الشّرح

٩٤


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «الشرح»(*)

سورة «الشرح» سورة مكّيَة، آياتها ٨ آيات، نزلت بعد سورة الضحى.

مجمل ما تضمّنته السورة

١ ـ هيأ الله سبحانه وتعالى نبيّه لتلقّي الرسالة الكريمة، وأفاض عليه من نِعَمِه الجزيلة، فشرح صدره بما أَوْدَعَ فيه من العلوم والحِكم، حتّى حمل أعباء النبوّة، وجعل أمر التبليغ عليه سهلاً هيّنا.

٢ ـ قَرَنَ الله عزّ وجلّ اسم النبي (ص)، باسم الله العظيم في الشهادة والأذان والإقامة والتشهُّد.

٣ ـ بين الله سبحانه أن ما يصيب النبي صلوات الله وسلامه عليه من شدة، سيَعْقُبُها اليُسْر والفرج.

٤ ـ طلب الله تعالى من نبيه الأمين، إذا ما انتهى من تعليم الناس وإرشادهم، أن يَشْغَل نفسه بعبادة الله.

٥ ـ أمره ألا يسأل أحداً غَيْرَه، لأنه سبحانه وتعالى هو السيّد القادر وحده على إجابة دعوة العبد السائل.

مع السورة

نزلت سورة الشرح بعد سورة الضحى، وكأنّها تكملة لها، فيها مظاهر الرعاية والعناية الإلهية، وفيها البشرى باليسر والفرج: ألم نفسح صدرك لهذه الدعوة ونيسّر لك أمرها؟ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾: ووضعنا عنك عبئك الذي أثقل ظهرك حتى كاد يحطمه من ثقله،

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

وضعناه عنك بشرح صدرك له فخفّ وهان، وبتيسيرك وتوفيقك للدعوة ومداخل القلوب.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٤): رفعناه في الملأ الأعلى، ورفعناه في الأرض، ورفعناه في هذا الوجود جميعاً، ورفعناه فجعلنا اسمك مقروناً باسم الله، كلّما تحركت به الشفاه: لا إله إلا الله محمّد رسول الله. قال مجاهد في معناه: «أي لا أُذكر إلا ذُكِرْتَ معي».

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥) ومع الشدة فرجاً، ومع قلة ذات اليد السهولة والغنى، فخذ في أسباب اليسر والتيسير، فإذا فَرَغْتَ من مهمّة تبليغ الرسالة، فانْصَبْ واتعب في القيام بواجبات العبادة لنا: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ (٨) واجعل رغبتك إليه سبحانه، ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/١٣].

«وتنتهي سورة الشرح كما انتهت سورة الضحى، وقد تركت في النفس شعورين ممتزجين:

الشعور بعظمة الود الحبيب الجليل، الذي ينسم على روح الرسول (ص)، مِنْ ربّه الودود الرحيم، والشعور بالعطف على شخصه (ص). ونحن نكاد نلمس ما كان يساور قلبه الكريم، في هذه الآونة، التي اقتضت ذلك الود الجميل.

إنها الدعوة، هذه الأمانة الثقيلة، وهذا العبء الذي يُنْقِضُ الظهر، وهي مع هذا وهذا مشرق النور الإلهي ومهبطه، ووصلة الفناء بالبقاء والعدم بالوجود».

ترابط الآيات في سورة «الشرح»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الشَّرح بعد سورة الضُّحى، ونزلت سورة الضحى فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة الشرح في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾. وتبلغ آياتها ثماني آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تثبيت النبي (ص) وإيناسه أيضاً، فهي توافق سورة الضحى في الغرض المقصود منها، ولهذا ذُكرت بعدها، ويروى عن طاووس وعُمر بن عبد العزيز أنهما كانا يريان أن السورتين سورة واحدة.

تثبيت النبي (ص)
الآيات [١ ـ ٨]

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾، فذكر أنه شرح له صدره بالرسالة، وأنه وضع عنه بها ما كان يثقله قبل البعثة من الحيرة في أمر الناس وضلالهم، وأنه رفع بها ذكره على من سبقه من الرسل، ثم ذكر له أن مع العسر الذي يجده من إعراض قومه يُسْراً، ثم أمره بما يجعله يصبر على أذاهم فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.



أسرار ترتيب سورة «الشرح»(*)

أقول: هي شديدة الاتّصال بسورة الضحى، لتناسبهما في الجمل. ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما[1]. قال الإمام: والذي دعاهم إلى ذلك هو: أن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ كالعطف على: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى][2].

قلت: وفي حديث الإسراء أن الله تعالى قال: «يا محمد، ألم أجدك يتيماً فآويت، وضالاً فهديت، وعائلاً فأغنيت، وشرحت لك صدرك، وحططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أُذْكَرُ الا ذُكِرْتَ» الحديث أخرجه ابن أبي حاتم[3] وفي هذا أوفى دليل على اتصال السورتين معنًى.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) نقل هذا القول فخر الدين الرازي في تفسيره عن طاووس وعمر بن عبد العزيز (تفسير سورة الضحى).

(٢) هي كالعطف في المعنى لا في اللفظ. ثم إن هذه السورة شرح لسابقتها، فشرح الصدر هناك: مُفَصّل هنا ببيان عناصره وأسبابه التي هي: الإيواء بعد اليُتم، والهداية بعد الضلال، والغنى بعد العَيْلَة. فتلك كلها من عوامل انشراح الصدر للإيمان، لا سيّما وقد جاءت بعد وعد بالعطاء حتى يرضى الرسول (ص).

(٣) الحديث ذكره ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم: ٨/ ٤٥٢.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «الشرح»(*)

إن قيل: ما الحكمة في زيادة ذكر لك وعنك، والكلام تامّ بدونهما؟

قلنا: فائدته الإبهام ثمّ الإيضاح، وهو نوع من أنواع البلاغة، فلمّا قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ فُهِمَ أنّ ثَمّ مشروحاً له، ثم قال: ﴿صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ فأوضح ما علم مبهماً بلفظ لك، وكذا الكلام في: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ﴾.

فإن قيل: قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾﴾ وكلمة مع للمصاحبة والقِران، فما معنى اقتران العسر واليسر؟

قلنا: سبب نزول هذه الآية أنّ المشركين عيّروا رسول الله (ص) وأصحابه (رض) بالفقر والضائقة التي كانوا فيها، فوعدهم الله تعالى يُسْراً قريباً من زمان عسرهم، وأراد تأكيد الوعد لتسليتهم وتقوية قلوبهم، فجعل اليسر الموعود كالمقارِن للعسر في سرعة مجيئه.

فإن قيل: ما معنى قول ابن عمر وابن عباس (رض) وابن مسعود (رض): لن يغلب عسر يسرين، ويروى ذلك عن النبي (ص) أيضاً؟

قلنا: هذا عملٌ على الظاهر وبناءٌ على قوّة الرجاء، وإنّ وعْدَ الله لا يُحمل إلا على أحسن ما يحتمله اللفظ وأكمله؛ وأما حقيقة القول فيه فهو أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تأكيداً

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.

للأولى، كما في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات]. وما أشبهه، وكما في قولك: جاءني رجل جاءني رجل؛ وأنت تعني واحداً في الجملتين، فعلى هذا يتّحد العسر واليسر، أو يكون تعريف العسر لأنه حاضر معهود، وتنكير اليسر لأنه غائب مفقود، وللتفخيم والتعظيم؛ ويحتمل أن تكون الجملة الثانية وعداً مستأنفاً فيتعدد اليسر حينئذ على ما قيل.

وعن معنى: «لن يغلب عُسْرٌ يسرين»

قلنا: كأنّه نزل ما فيه من التفخيم والتعظيم بالتنكير منزلة التثنية، لأن المعنى يسراً وأيّ يسر، وأما من فسره بيسرين فإنه قال: أحد اليسرين ما تيسّر من الفتوح في زمن النبي (ص). والثاني ما تيسّر بعده في زمن الخلفاء. وقيل هما يُسْر الدنيا ويسر الآخرة، كقوله تعالى: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة/٥٢] وهما حسن الظفر وحسن الثواب.



المعاني المجازية في سورة «الشرح»(*)

في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ مجاز واستعارة، لأن النبي (ص) لا يجوز أن ينتهي عِظَم ذَنْبه إلى حال إنقاض الظَّهر، وهو صوتُ تقعْقُعِ العظام من ثقل الحمل. لأن هذا القول لا يكون إلا كنايةً عن الذنوب العظيمة، والأفعال القبيحة. وذلك غير جائز على الأنبياء عليهم السلام، في قول من لايجيز عليهم الصغائر ولا الكبائر، وفي قول من يجيز عليهم الصغائر دون الكبائر. لأن الله سبحانه قد نزّههم عن مُوبِقَات الآثام، ومُسْتَقْبِحات الأفعال، إذ كانوا أمناء وَحيه، وألْسِنَةَ أمْرِه ونَهْيه، وسفراءه إلى خَلْقِه.

فنقول: إن المراد ههنا بوضْعِ الوزر ليس على ما يظنه المخالفون من كونه كناية عن الذنب، وإنّما المراد به ما كان يعانيه النبي (ص) من الأمور المستصعبة في أداء الرسالة، وتبليغ النذارة[1]، وما كان يلاقيه عليه السلام من مضارّ قومه، ويتلقّاهُ من مَرَامي أيْدي مَعْشَره. وكلُّ ذلك حرجٌ في صدره، وثقلٌ على ظهره. فقرَّره الله سبحانه بأنه أزال عنه تلك المخاوف

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) أي الإنذار، كالبشارة، وهي تقديم البشرى.

كلّها، وحطَّ عن ظهره تلك الأعباء بأسرها، وَأَدالَهُ من أعدائه[1]، وفضّله على أكفائه، وقدّم ذِكْره على كل ذكر، وَرفع قدره على كل قدْر، حتى أمِنَ بَعْدَ الخيفة، واطمأنَّ بَعْدَ القلقة.



(١) أي جعل له الكَرّة عليهم، ونصره وأظفره بهم.



سورة التّين

٩٥

المبحث الأول

أهداف سورة «التين»(*)

سورة التين سورة مكية، آياتها ٨ آيات، نزلت بعد سورة البروج.

والحقيقة الرئيسة التي تعرضها سورة التين، هي حقيقة الفطرة القويمة التي فَطَر الله الانسان عليها.

يُقْسِم الله سبحانه على هذه الحقيقة، بالتين والزيتون وطور سينين، وهذا البلد الأمين.

وقد كثرت أقوال المفسّرين في التين والزيتون، فقيل هما جبلان بالشام، وقيل: هما هاتان الثمرتان اللتان نعرفهما بحقيقتهما، وقد أقسم الله تعالى بهما لأنهما عجيبتان من بين الأشجار المثمرة.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ هو الطور الذي نودي موسى(ع) من جانبه، ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾، هو مكّة بيت الله الحرام.

لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة، بانتصاب قامته، وحسن وجهه، واستجماعه لخواصّ الكائنات في تركيبه.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾: أي ثُمَّ كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة الله عليه، أنْ رددناه أسفل سافلين، حيث تصبح البهائم أرفعَ منه وأقوم، لاستقامتها على فطرتها، وإلهامها تسبيح ربها، وأداء وظيفتها على هدى؛ بينما هو المخلوق في أحسن تقويم يجحد ربه، ويرتكس مع هواه.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

﴿تَقۡوِيمٖ ٤﴾، فطرة واستعداداً، ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥﴾، حينما ينحرف بهذه الفطرة، عن الخطّ الذي هداه الله اليه، وبيّنه له.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فلهم أجرٌ دائمٌ غيرُ مقطوعٍ، ولا منقوص، ولا ممنون.

فمن يكذّبك بالدين بعد ظهور هذه الحقيقة؟ وبعد إدراك قيمة الإيمان في حياة البشرية؟

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾: أليس الله بأعدل العادلين، حينما يحكم في أمر الخلق على هذا النحو؟ أو أليست حكمة الله بالغة؟

والعدل واضح والحكمة بارزة، ومن ثم ورد في الحديث المرفوع: إذا قرأ أحدكم ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١﴾ فأتى آخرها: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

مجمل ما تضمنته السورة

أقسم الله تعالى، بأنه أحْسَنَ خَلْقَ الإنسان، فجعله منتصب القامة، متّسق الأعضاء والخواصّ، وقد يردّه إلى أرذل العمر، فَيَصِيرُ ضعيفاً هرماً.

أو أنه فَطَرَ الإنسان أحسن فطرة نَفْساً وبدناً وعقلاً، إلاّ أنه تمشّياً مع رغباته الأثيمة، ونزواته الشريرة؛ انحطّت منزِلَةُ بعضِ أفراده، فصيّرهم الله الى منازِلِ الخِزْيِ والهَوَان؛ واستثنى الله تعالى من هذا المصير، أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فلهم أجر غير منقطع؛ وأشارت السورة أيضاً إلى أن الله تعالى هو أعدل الحاكمين، وأعلى المدبّرين حُكْماً.

ترابط الآيات في سورة «التين»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نَزَلَت سورة التين بعد سورة البروج، ونزلت سورة البروج فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء؛ فيكون نزول سورة التين في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ①﴾ وتبلغ آياتها ثماني آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة، إثبات أن الإسلام دين الفطرة، وتوبيخ من يكذّب به وينحرف عنه؛ وبهذا ناسبت هذه السورة سورة الشرح، لأنها كانت في تثبيت النبي (ص) على تكذيب قومه له، وانحرافهم عن دينه.

الإسلام دين الفطرة
الآيات [١ ـ ٨]

قال الله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④﴾، فأقسم بهذا، على أنه خلق الإنسان في أوّل أمره، في أكمل عقل ودين وعلم؛ وذكر سبحانه أن هذا الانسان انحرف عن هذا، فردّه أسفل سافلين، إلاّ من استقام في دينه، فلهم أجرٌ غيرُ ممنون؛ ثمّ وبّخه على انحرافه، وهدّده بقوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ⑦ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ⑧﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أسرار ترتيب سورة «التين»(*)

أقول: لمّا تقدّم، في سورة الشمس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس]؛ فصّل في هذه السورة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ إلى آخره.

وأُخّرت هذه السورة، لتقدُّم ما هو أنسب بالتقديم، من السور الثلاث[1]، واتّصالها بسورة البلد لقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾؛ وأخّرت لتقدّم ما هو أولى بالمناسبة، مع سورة الفجر[2].

من اللطائف

نقل الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري في «لطائف المِنَن» عن الشيخ أبي العباس المرسي، قال قرأت مرة ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾، إلى أن انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾؛ ففكّرت في معنى هذه الآية، فألهمني الله أنّ معناها: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم روحاً وعقلاً، ثم رددناه أسفل سافلين نفساً وهوًى[3].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(١) يعني: (الليل، والضحى، والشرح). فإنّ مناسباتها متوالية هكذا، أهم من تقديم التين بعد الشمس.

(٢) يعني أنّ اتّصال سورة الشمس بالبلد، واتّصال البلد بالفجر، أولى من اتّصال التين بالبلد لمجرد ذكر (البلد) في كليهما.

(٣) لطائف المنن ص ١١٨. المطبعة الفخرية. ١٩٧٢. القاهرة.

قلت: تظهر من هذه المناسبة وضعها بعد ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾. فإنّ تلك أخبر فيها عن شرح صدر النبي (ص)، وذلك يستدعي كمال عقله وروحه، فكلاهما في القلب الذي محلُّه الصدر؛ وعن خلاصه من الوزر الذي ينشأ من النفس والهوى، وهو معصوم منهما، وعن رفع الذِّكر، حيث نزّه مقامه عن كل موهِم.

فلمّا كانت هذه السورة في هذا العَلم الفرد من الإنسان، أعقبها بسورة مشتملة على بقيّة الأناسي، وذكر ما خامرهم في متابعة النفس والهوى.



المبحث الرابع

مكنونات سورة «التين»(*)

أخرج ابن أبي حاتم عن كعب قال:

١ ـ ﴿وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾.

دمَشْق[١]

٢ ـ ﴿وَالزَّيْتُونَ﴾:

بَيْتُ الْمَقدِس.

وعن قَتَادة: التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: جبل عليه بيت المقدس[٢].

وعن الرَّبيع: جَبَل عليه التّين والزَّيتون.

وعن محمد بن كعب: التين جبل أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيليا[٣].

ومن طريق العَوْفي، عن ابن عبّاس: التين: مسجد نوح الذي على الجُودِيّ.

وعن عِكْرِمَة: في هذا عشرون قولاً.

٣ ـ ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾:

مكّة.

وأخرج ابنُ عساكر عن عمرو بن الدَّرْفَس[٤] الغَسّاني قال: والتين مسجد دمشق كان بستاناً لهود (ع)، فيه تين؛ والزيتون مسجد بيت المقدس.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهَمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) في «تفسير الطبري» ٣٠/ ١٥٣: «مسجد دمشق».

(٢) الطبري ٣٠/ ١٥٣.

(٣) إيلياء: بيت المقدس.

(٤) بفتح الدال المهملة والراء، وسكون الفاء، وآخره سين مهملة، كما في «خلاصة تهذيب الكمال»: ٢٨٢، ويقال: إن «الدرفس» كان مولى معاوية، يحمل علماً يسمى «الدرفس» فلُقِّبَ به، كما في «تهذيب التهذيب» ٧/ ٤٤٣.



المعاني اللغوية في سورة «التين»(*)

قال تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝﴾ وواحدها «السِّينِينَة»[1].

وقال سبحانه: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ﴾ [الآية ٧]، بجعل (ما) للإنسان. وفي هذا القول يجوز «ما جاءني زيد» في معنى «الذي جاءني زيد».

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) نقله في المشكل ٢/ ٤٩٩، والجامع ٢٠/ ١١٣، والبحر ٨/ ٤٩٠. والسِّينِية: شجرة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «التين»[*]

فإن قيل: ما وجه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾.

قلنا: قال الأكثرون: المراد بالإنسان هنا الجنس، وبردّه أسفل سافلين بإدخاله النار، فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً ظاهر الاتّصال، ويكون قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، قائماً مقام معنى قوله تعالى فلا نردّهم أسفل سافلين، وأمّا على قول من فسّر أسفل سافلين بالهرم والخرف، وقال: السافلون هم الضعفاء، والزّمنى[1]، والأطفال، والشيخ الهرم أسفل هؤلاء كلهم، فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً بمعنى لكن، ومعنى قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، أي غير مقطوع بالهرم، والضعف الحاصل من الكبر: أي إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال شبابهم وقوّتهم، فإنهم إذا عجزوا عن العمل كُتِب لهم ثواب ما كانوا يعملونه من الطاعات والحسنات إلى وقت موتهم؛ وهذا معنى قول ابن عباس(رض): من قرأ القرآن لم يُرَدَّ إلى أرذل العمر، وقال بعض العلماء: الذين آمنوا وعملوا الصالحات في شبابهم وقوّتهم، فإنهم لا يردون إلى الخرف وأرذل العمر، وإن عُمّروا طويلاً؛ وتمسّك بظاهر قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.

(1) الزّمنى: مفردهُ «زمِن»، وهو من ضَعُفَ بِكِبَرِ سِنّه.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني المجازية في سورة «التين»(*)

في قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾﴾ استعارة، والمراد بها انعكاس صحة أحوال الانسان، ورجوعه بعد الشباب إلى الهرم، وبعد الصحة إلى السقم، وبعد الحفظ إلى النسيان، وبعد الزيادة إلى النقصان، فكأنّه قد حُطّ من عالٍ إلى سافل، ورُدّ إلى أرذل العمر، لكي لا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ علم شيئاً.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سورة العَلَق



٩٦


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «العلق»(*)

سورة العلق سورة مكية، عدد آياتها ١٩ آية، وهي أول ما نزل من القرآن الكريم.

﴿اقْرَأْ﴾ [الآية ١]: أي ما يوحى إليك، ويتلى.

﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية ١]: مبتدئاً، ومستعيناً باسمه تعالى.

﴿عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾: واحده علقة، وهي قطعة من الدم جامدة، هي أصل البويضة، في القاموس: عَلِقَتِ المرأةُ حَبِلَتْ.

﴿الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾: له كمال الكرم.

﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ جعل الكتابة وسيلة العلم.

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾: أوجد فيه قوة إدراك المعلومات، وطاقات تحصيلها، ويسّر له الدرس.

﴿كَلَّا﴾ [الآية ٦]: للزجر والردع.

﴿لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾﴾: يتجاوز حدود ما شُرِع، فيكفر ويظلم.

﴿أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾﴾: أي بسبب غناه، فأبطرته النعم.

﴿الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾﴾: الرجوع والمصير إلى الله.

﴿الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾﴾: إشارة الى أبي جهل.

﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾﴾: يريد النبي (ص).

﴿أَرَأَيْتَ﴾ [الآيات ٩ و١١ و١٣]: استخبارية، بمعنى أخبرني.

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

﴿لَنَسْفَعًا﴾ [الآية ١٥]: لَنأْخُذَنَّهُ بعنف.

﴿بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾: مُقَدَّم شعر الرأس.

﴿نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾: مجتمع القوم، والمراد مَنْ به.

﴿ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾: ملائكة العذاب.

﴿وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾: تقرَّبْ إلينا بالطاعة.

[الآيات ١ ـ ٥]: ورد في كتب الصحيح أن النبي (ص)، كان يتعبّد في غار حراء، فجاءه المَلَكُ فضمَّه ضمّاً شديداً حتى بلغ منه الجهد ثلاث مرات، ثمّ قال كما ورد في التنزيل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾.

اقرأ باسم الله وقدرته، الذي أحْكَمَ الخلق، وهو بديع السماوات والأرض، خلق الانسان من دمٍ متجمّد، يعلق بجدار الرحم، فسوّاه من نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى عظام، فكسى العظام لحماً؛ ثم أنشأه خلقاً آخر، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون].

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾، الذي له الكمال في زيادة كرمه على كلّ كريم، يُنعم على عباده بالنعم، ويحلُمُ عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة.

ومن الله يستمد الإنسان كلّ ما عَلِم، وكلّ ما يعلم. والله سبحانه هو الذي خَلَقَ وهو الذي عَلَّم فمنه البدء والنشأة، ومنه التعليم والمعرفة.

وقد كان (ص)، أكمل الخلق ذِكْراً لله؛ وكان ذِكْرُهُ لله يجري مع أنفاسه قائماً وقاعداً وعلى جنبه، وفي مشيته وركوبه، وسيره ونزوله، وسفره وإقامته، ولقد كان واجب كل إنسان أن يعرف ربّه ويشكره، ولكن الذي حدث غير هذا.

[الآيات ٦ ـ ٨]: كلا إنّ الإنسان ليتجاوز الحدَّ في التعدي، أن رأى نفسه مستغنياً، إنّ إلى ربّك الرجوعَ والحساب، فليس هناك مرجعٌ سواه، إليه جلّت قدرته يرجع الغنيّ والفقير، والصالح والشرير، ومنه النشأة، وإليه المصير.

وكان أبو جهل يقول: لو رأيت محمّداً ساجداً لوطئت عنقه، فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾ أي أرأيت أبا جهل ينهى محمداً (ص) عن الصلاة. أرأيت إن كان هذا الذي يصلّي على الهدى أو

أمر بالتقوى، ثمّ ينهاه من ينهاه مع أنّه على الهدى، آمر بالتقوى؟.

أرأيت إن كان ذلك الناهي مكذّباً بالحق، متولّياً عنه: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ ويطّلع على أحواله، ويرى نهيه للعبد المؤمن إذا صلّى، وسيؤاخذه على ذلك، وقد وردت روايات صحيحة تفيد أنّ أبا جهل نهى النبي (ص) عن الصلاة، فأغلظ له الرسول (ص) القول، فقال أبو جهل: أتهدّدني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً أي مجلِساً يجتمع فيه القوم والأعوان.

[الآيات ١٥ ـ ١٩]: وأمام مشهد الطغيان، يجيء التهديدُ الحاسِمُ الرادع الأخير: ﴿كَلَّا﴾ لئن لم يرجع عمّا هو فيه، لنقبضنَّ على ناصيته، ولنجذبنّها جذباً شديداً عنيفاً، فهي ناصية كذَّبت الحقَّ، وأخطأت الطريق، فَلْيَدْعُ أهل ناديه لينتصروا له وليمنعوه مِنّا؛ سَنَدْعُو الزبانية الشداد الغلاظ، كلا: لا تطع هذا الطاغي، واسجدْ لربك واقتربْ منه، بالطاعة والعبادة، فهو الحصن والملجأ، وهو نعم المولى ونعم النصير.

مقاصد سورة العلق

تشتمل سورة العلق على المقاصد الآتية:

١ ـ حكمة الله تعالى: في خلق الإنسان من قطعة لحم عَلِقَت بجدار الرحم، ثمّ تكوينه خلقاً كاملاً، يبسط سلطانه على كثير من الكائنات.

٢ ـ من كرم الله وإنعامه: أنه علّم الإنسان البيان، وأفاض عليه الكثير من النِّعَم، ممّا جعل له القدرة على غيره ممّا في الأرض.

٣ ـ لقد غفل الإنسان عن هذه النعم، فإذا رأى نفسه غنيّاً صَلِفَ وتجبّر واستكبر.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «العلق»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

سورة العلق أوّل مانزل من القرآن عند جمهور المفسّرين؛ وذهب آخرون إلى أنّ الفاتحة هي أوّل ما نزل منه، ثم سورة العلق.

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾. وتبلغ آياتها تسع عشرة آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة: إعلامُ النبي (ص) بالدعوة، ليقوم بتبليغها لمن أُرسل إليهم، وهي دعوة الدّين الذي ذكر في السورة السابقة، أنّه الفطرة التي فُطِرَ النّاسُ عليها؛ وهذا هو وجه المناسبة في ذكر هذه السورة بعدها.

إعلام النبي بالدعوة
الآيات [١ ـ ١٩]

قال الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ فأمر تعالى نبيه أوّلاً أن يقرأ ما أوحي إليه من دعوة التوحيد ليتعلّمها؛ ثمّ أمره ثانياً أن يقرأها ليبلّغها الناس؛ وذكر من صفاته أوّلاً: أنه جلّ وعلا خلق الإنسان من علق، وثانياً: أنه سبحانه هو الأكرم الذي كان من أهمّ نِعَمِهِ على الإنسان، تعليمه القراءة والكتابة، ليهذّب نفَسه ويعلّمه ما لم يعلم، ثم سجّل، على هذا الإنسان،

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

أنه لم يقابل نِعَمَه بالشكر، بل أطغاه الغنى وأبطره؛ وهدّده بأنّ إليه الرُّجعى، ليعاقبه على طغيانه؛ ثم ذكر من طغيانه أنه ينهى عن الصلاة إليه، وأنه يكذّب ويعرض عن دعوته؛ ثم هدّده بأنه سيأخذ بناصيته إلى النار؛ وأمره أن يدعو حينئذ أعوانه لنصرته، وأين هم من الزبانية اللذين سيدعوهم سبحانه لعذابه؛ ثم ختمت السورة بنهي النبي (ص) عن طاعة هذا الإنسان، وأَمَرَه بالمضي، في دعوته، فقال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ (١٩)﴾.



أسرار ترتيب سورة «العلق»(*)

أقول: لمّا تقدّم في سورة التين بيان خلق الإنسان في أحسن تقويم، بيّن هنا أنه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾ وذلك ظاهر الاتّصال، فالأوّل بيان العلّة الصورية، وهذا بيان العلة المادية[1].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(١) أقول: ومن المناسبة بين التين والعلق:

(أ) انه تعالى لما قال في آخر التين: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾ بيّن، في أول العلق، أنه تعالى مصدر علم العباد بحكمته. فبيّن أنه سبحانه: ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾. وصدّر ذلك بالأمر بالقراءة، واستفتاحها باسمه دائماً، لتكون للانسان عوناً على كمال العلم بحكمة أحكم الحاكمين.

(ب) لمّا ذكر في التين خلق الانسان في أحسن تقويم، وردّه إلى أسفل سافلين. بيّن في العلق تفصيل الحالين وأسبابهما من أوّل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾. الى ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الرابع

مكنونات سورة «العلق»(*)

١ - ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦﴾ إلى آخر السورة.

نزلت في أبي جهل[1].

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِمات الأقران في مُبْهمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) انظر تفسير الطبري ٣٠/١٦٣.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لغة التنزيل في سورة «العلق»(*)

١ ـ وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ١٧﴾.

والمراد أهل النادي، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف/٨٢]

أي: أهلها؛ ومثله قول جرير:

لهم مجلس صُهْبُ السِّبال أذِلّةٌ
على من يُعاديهم أشدّاء فاعْلَمِ

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.

المعاني اللغوية في سورة «العلق»(*)

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ ثم قال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ فهي بدلٌ منها، والخبر ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ فـ(نادِيَهُ) هُهُنا عشيرته، وإنما هم أهل النادي، والنادي مكانه ومجلسه. وأما (الزَّبانِيَةُ) فقال بعضهم: واحدهم «الزَّبانِي» وقال بعضهم: «الزَّابِن»[1] سمعت «الزابِن» من عيسى ابن عمر. وقال بعضهم «الزِبْنِية». والعرب لا تكاد تعرف هذا، وتجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل «أبابِيل» تقول: «جاءَتْ إِبلي أبابيل» أي: فِرَقاً. وهذا يجيء في معنى التكثير مثل «عَبادِيد» و«شَعارِير».

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) نقله في الصحاح «زبن»، والجامع ٢٠/١٢٦.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «العلق»(*)

إن قيل: أين مفعول خلق في الآية الأولى؟

قلنا: يحتمل وجهين: أحدهما أن لايقدر له مفعول، بل يكون المراد الذي حصل منه الخلق واستأثر به لاخالق سواه؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك/ ١٤] في أحد الوجهين، وقولهم: فلان يعطي ويمنع، ويصل ويقطع. الثاني: أن يكون مفعوله مضمراً، تقديره: الذي خلق كلّ شيء، ثم أفرد الإنسان بالذكر تشريفاً له وتفضيلاً.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ على الجمع ولم يقل: مِنْ علقة؟

قلنا: لأن الإنسان في معنى الجمع، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر]، والجمع إنّما خلق من جمع علقة لا من علقة.

فإن قيل: هذا الجواب يردّه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج/ ٥].

قلنا: المراد فإنّا خلقنا أباكم من تراب، ثمّ خلقنا كل واحد من أولاده من نطفة. وقيل إنّما قال تعالى: ﴿مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ رعاية للفاصلة الأولى وهي خلق.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

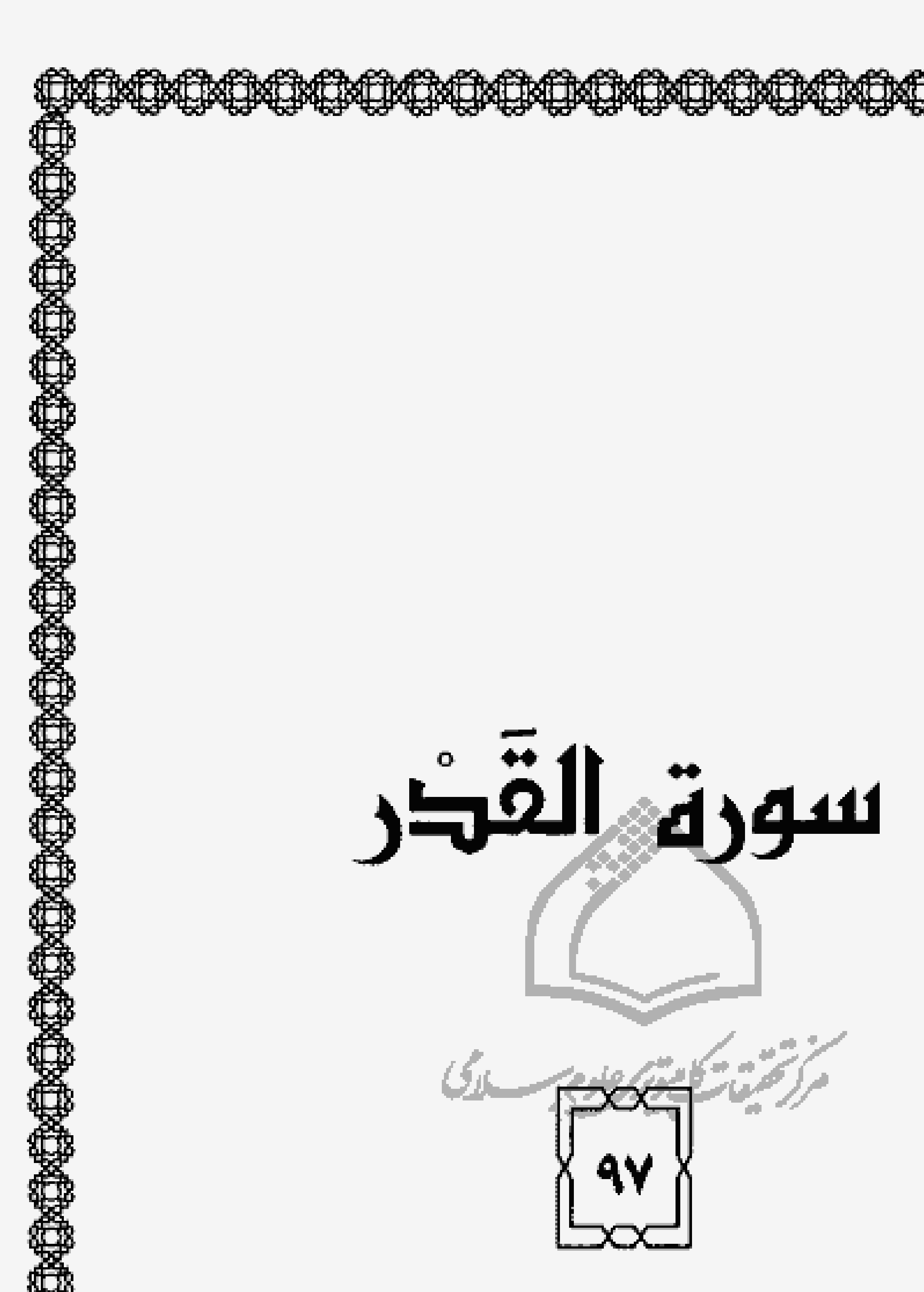
المعاني المجازية في سورة «العلق»(*)

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ⑮ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ⑯﴾.

هذه استعارة، لأن صفة الناصية بالكذب والخطأ مجاز، والمراد بذلك صاحب الناصية، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ⑧ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ⑨﴾ [الغاشية] وقد مضى الكلام على هذا المعنى، وجاء في الآية إبدال النكرة من المعرفة، وهو قليل في القرآن والكلام، لأن الناصية الأولى معرفة، والناصية الثانية نكرة وهي بدل من الأولى.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.





سورة القَدْر

٩٧


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «القدر»(*)

سورة القدر سورة مكية، آياتها ٥ آيات نزلت بعد سورة عبس.

والحديث في هذه السورة عن تلك الليلة الموعودة المشهودة، التي سجّلها الوجود كله، في فرح وغبطة وابتهال، ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى، ليلة بدء نزول القرآن الكريم على قلب محمد (ص)، ليلة ذلك الحدث العظيم، الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته وفي دلالته، وفي آثاره في حياة البشرية جميعاً، العظمةِ التي لا يحيط بها الإدراك البشري.

هي ليلة نزل فيها قرآنٌ ذو قدْر، على نبيّ ذي قدْر، لأمّة ذات قدْر.

هي ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك. قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة/ ١٨٥].

وقد وردت في تعيين هذه الليلة آثار كثيرة، منها ما ورد في البخاري أن رسول الله (ص) قال:

«إني رأيت ليلة القدر، ثم نسيتها، أو أُنسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان».

وَيُتَوَقَّع طلبها في أوتار العشر الأواخر، أي ليلة ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٩؛ وفي كثير من الروايات أنها ليلة ٢٧ رمضان.

وعظمة هذه الليلة مستمدّة من نزول القرآن الكريم فيها، ذلك الكتاب

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

الخالد الذي وصل الأرض بالسماء، وكان هدايةَ رب العباد للعباد، وكان النورَ والهُدى، والسلامة والسلامَ للخلق أجمعين.

المفردات:

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾: القَدْرُ: الشرفُ والقيمةُ والمقام.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: المراد بالاستفهام تقرير عظيم شأنها.

﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾: ثواب العبادة فيها، خير من ألف شهر، والعدد لا يفيد التحديد، وإنما يفيد التكثير فهي خير من آلاف الشهور في حياة البشر.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾: جبريل (ع).

﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾: خيرٌ كلّها.

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾: لا تزال الملائكة متنزّلة بالرحمة والمغفرة، حتى مطلع الفجر.

[الآية ١]: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ نزل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ، إلى سماء الدنيا جملة واحدة؛ ثم نزل مُنَجَّماً على ثلاثٍ وعشرين سنة، وبدأ الإنزال في ليلة مُقَدَّرَةٍ، لها شرفها عند الله، وزادها شرفاً بدء نزول القرآن فيها.

[الآية ٢]: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾: إن شأنها لعظيم، عظمة لا تقدّر، ففيها فاض النور على الوجود كلّه، وأسبغ الله تعالى فيها السلام والبشرى على البشرية، بما تضمّنه هذا القرآن، من عقيدة وتصوّر، وشريعة وآداب تُشيع السلام في الأرض والضمير.

[الآية ٣]: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ أي هي، بما نزل فيها من ذكر وقرآن وهداية، أفضل من ألف شهر، من شهور الجاهلية؛ أو العبادةُ والعمل الصالح فيها أفضل من العبادة في ألف شهر.

روي عن مجاهد أنّ النبيّ (ص)، ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فتعجّب المسلمون من ذلك، فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾.

[الآية ٤]: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾. تنزّل الملائكة وجبريل الأمين في هذه

الليلة، بالسلام والأمان، والرحمة لعباد الله، وتنزّل بأمر الله وتقديره، من أجل كلّ أمر، قضاه الله لتلك السنة إلى عام قابل.

[الآيـــة ٥]: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾: هي سلام وأمان وثواب موصول، وعبادة مضاعفة الثواب إلى طلوع الفجر.

وفي الصحيحين: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه».

فهي ليلة التجرّد والإخلاص لله؛ ليلة نزول القرآن، وعبادة الرحمن؛ ليلة تغمر الملائكة الأرض بالسلام والأمان من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «القدر»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة القدر بعد سورة عبَس، ونزلت سورة عبس، فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة القدر في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ وتبلغ آياتها خمس آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة بيان فضل الليلة التي أنزل فيها القرآن، وهذا للتنويه بشأنه في اختيار تلك الليلة لنزوله؛ ولا تخفى مناسبة هذا لذكر ابتداء نزوله في سورة العلق، ولهذا ذكرت بعدها هذه السورة.

فضل ليلة نزول القرآن
الآيات [١ ـ ٥]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ فذكر سبحانه أنه أنزله في هذه الليلة؛ وذكر أنها خير من ألف شهر؛ وأنّ الملائكة، تتنزّل فيها بما قُدِّر من خير أو شر؛ ثم ختمها سبحانه، بقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ⑤﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أسرار ترتيب سورة «القدر»(*)

قال الخطابي[1]: لمّا اجتمع أصحاب النبي (ص) على القرآن، ووضعوا سورة القدر عقب العلق، استدلوا بذلك على أنّ المراد بهاء الكناية في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ الإشارة إلى قوله سبحانه ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق/١].

قال القاضي أبو بكر بن العربي. وهذا بديع جداً[2].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) الخطابي هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو سليمان. له شرح سنن أبي داود، وبيان إعجاز القرآن. توفي سنة ٣٨٨ (وفيات الأعيان: ١/١٦٦). والنقل من (البرهان لأبي جعفر بن الزبير) كما قال السُّيُوطي «الإتقان»: ٣/ ٣٨٣.

(٢) أقول: وهناك مناسبة أخرى خفية، هي أنه تعالى لمّا ختم العلق بالأمر بالسجود والاقتراب من الله، وكان المقصود من الاقتراب: التعرّض للرحمة الفائضة من الله على المصلّي، والصلاة لا تكون إلاّ بقرآن، ذكر في أوّل هذه السورة أن القرآن رحمة في ذاته، ورحمة في الزمان الذي نزل فيه، وهو ليلة القدر، التي تتنزّل الملائكة فيها، بالروح والسلام على الكون.



المبحث الرابع

مكنونات سورة «القدر»(*)

١ ـ فيها أقوال كثيرة تزيد على الأربعين، وحاصلها أقوال عشرة:

ليالي العشر الأخيرة[1] وليلة أول الشهر، ونصفه، والسابعة عشرة، وثلاثة تليها، ونصف شعبان، وقيل: بالإبهام، والتنقّل كلّ عام، في كلّ رمضان، وفي كلّ السنةِ، فهذه عَشَرَة أقوال[2].



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) قال الفيومي في «المصباح المنير» مادة (آخرة): وقولهم في العشر «الآخِر» على فاعل أو «الأخير» أو «الأوسط» أو «الأوّل» بالتشديد عاميٌّ لأن المراد بالعشر الليالي، وهي جمع مؤنث، فلا تُوصَف بمفرد بل بمثلها» انتهى. وقال أيضاً في مادة «العُشر»: والعامّة تذكّر العشر على معنى أنه جمع الأيام. وهو خطأ فإنه تغيير المسموع» وصحيح العربية أن يقال «العَشْرُ الأُخَر» جمع أُخرى و«العشر الأواخر» أيضاً جمع آخِرَة.

(٢) «وأخرج البيهقي في «شُعَب الإيمان» عن ابن عبّاس: أنّ رجلاً قال: يا نبيّ الله، إنّي شيخ كبير، يشقّ عليّ القيام، فمُرْني بليلة لَعلّ الله أن يوفقني فيها لليلة القدر. قال: «عليك بالسابعة».

وأخرج أبو داود وغيره، عن معاوية بن أبي سفيان، عن النبي (ص) في ليلة القدر قال:

«ليلة سبع وعشرين» انتهى.

انظر في ليلة القدر: «أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي المالكي ٤/ ١٩٦٢، و«تفسير الطبري» ٣٠/ ١٦٦، و«تفسير ابن كثير» ٤/ ٥٣٢، و«فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، لابن حجر العسقلاني ٤/ ٢٥٥ (كتاب فضل ليلة القدر)، و«الدر المنثور» للسُّيوطي ٦/ ٣٧١.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «القدر»(*)

قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ [الآية ٥]، أي: هِي سلامٌ، يريد: مُسَلَّمَة.

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾، أي طلوع الفجر؛ والمصدر هٰهُنا لا يُبنى إلا على «مَفْعَل».

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «القدر»(*)

إن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ وتنزلهم من الأمر لا معنى له.

قلنا: «من» هنا بمعنى الباء، كما في قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد/١١] وقوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [غافر/١٥]، أي لكل أمر قضاه الله تعالى، في تلك السنة من ليلة القدر، إلى مثلها: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ به من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا؛ وقيل إلى الأرض.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سورة البَيّنَة

٩٨


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «البيّنة»(*)

سورة البيّنة سورة مدنية، آياتها ٨ آيات نزلت بعد سورة الطلاق.

تعرض السورة أربع حقائق تاريخية وإيمانية:

الحقيقة الأولى: هي أنّ بعثة الرسول (ص) كانت ضرورية، لتحويل الذين كفروا من أهل الكتاب ومن المشركين، عمّا كانوا قد انتهوا إليه من الضلال والاختلاف، وما كانوا ليتحوّلوا عنه بغير هذه البعثة.

قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾.

الحقيقة الثانية: أنّ أهل الكتاب لم يختلفوا في دينهم عن جهل، ولا عن غموض فيه، وإنّما اختلفوا من بعد ماجاءهم العلم، وجاءتهم البيّنة: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾.

الحقيقة الثالثة: أنّ الدّين في أصله واحد، وقواعده بسيطة واضحة، لا تدعو الى التفريق والاختلاف في ذاتها وطبيعتها البسيطة اليسيرة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾.

الحقيقة الرابعة: أنّ الذين كفروا من بعد ما جاءتهم البيّنة هم شرّ البريّة، وأنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

خير البريّة، ومن ثم يختلف جزاء هؤلاء عن هؤلاء اختلافاً بيّناً.

المفردات:

﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية ١]: اليهود والنصارى.

﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية ١]: عبدة الأصنام.

﴿مُنفَكِّينَ﴾ [الآية ١]: منتهين عمّا هم عليه.

﴿الْبَيِّنَةُ ①﴾: الحجّة الواضحة، أو محمد (ص) الموعود به في كتبهم.

﴿رَسُولٌ﴾ [الآية ٢]: بدل من البيّنة، وعُبِّر عنه بالبيّنة للإشارة إلى ظهور أمره، ووضوح دينه.

﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ②﴾: مبرّأة من الزور والضلال، والمراد بها القرآن.

﴿فِيهَا﴾ [الآية ٣]: في صحف القرآن.

﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③﴾: مضمون الكتب السماوية الأخرى، وهي بلا شك لها قيمتها.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ﴾ [الآية ٤]: اختلفوا إلى طوائف في الدين.

﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ④﴾: يتحقّق الموعود برسالة محمد (ص).

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑤﴾.

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾: أي في كتبهم.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: جاعلين الدّين، خالصاً لله.

﴿حُنَفَاءَ﴾: مائلين عن زائف العقائد، إلى الإسلام دين الحق.

﴿الْبَرِيَّةِ﴾ [الآيتان ٦و٧]: الخليقة.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [الآية ٨]: بساتين خلد، ومقام أبدي.

﴿الْأَنْهَارُ﴾ [الآية ٨]: المراد الأنهار الموعود بها، من لبن وعسل، وخمر[1].

﴿خَشِيَ رَبَّهُ ⑧﴾: خافه في الدّنيا فأطاعه، ونجا في الآخرة من عذابه.

مع آيات السورة

[الآية ١]: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

(١) من النافل القول إن خمرة الجنة ليست كخمر الدّنيا، قال تعالى في وصفها: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ⑲﴾ [الواقعة].

﴿أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾: كانت الأرض في حاجةٍ ماسّة إلى رسالةٍ جديدة، كان الفساد قد عمّ أرجاءها كلّها، بحيث لا يُرتجى لها صلاح، إلا برسالة جديدة، ومنهج جديد، وحركة جديدة، وكان الكفر قد تطرّق إلى عقائد أهلها جميعاً، سواء في ذلك أهل الكتاب الذين عَرَفوا الديانات السماويّة من قبل ثم حرّفوها، والمشركون في الجزيرة العربية، وفي خارجها.

وما كانوا لينفكّوا، ويتحوّلوا عن هذا الكفر الذي صاروا إليه، إلاّ بهذه الرسالة الجديدة، وإلاّ على يد رسولٍ، يكون هو ذاته بيّنة واضحة، فارقةً فاصلة.

[الآية ٢]: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ أي محمّد (ص)، وهو بدلٌ من البيّنة، يقرأ عليهم من صفحاتِ كتابه المطهّرة، وآياته المقدّسة، ما يشتمل على المضمون الصحيح لكتبهم المنزّلة على أنبيائهم، موسى وعيسى وغيرهما، عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

[الآية ٣]: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾: يطلق الكتاب على الموضوع، كما تقول كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة.. أي يشتمل القرآن على موضوعات وحقائق قيّمة تحتاج إليها البشرية، ولا تصلح إلاّ بها.

كان الفساد قد استشرى في الأرض، وطُمِست معالم الحق، وبهتت حقائق الأديان، وانسحب رجال الدِّين من ميدان الحياة، واستبدّ الحكّام والملوك، وعظُمت نكايات اليهود بالنصارى، واشتدّ تدبير الكَيْد من النصارى لليهود.

واختلف المسيحيون حول طبيعة المسيح (ع)، وعذّب الحكام طوائف المخالفين.

[الآية ٤]: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ فلم يكن ينقصهم العلم والبيان، وإنّما كان يجرفهم الهوى والانحراف.

[الآية ٥]: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾. وهذه هي قاعدة دين الله على الإطلاق، عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والميل عن الشرك وأهله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ وهذا هو الدين الذي جاء في الكتب

القيّمة، «وقصارى ما سلف أن أهل الكتاب افترقوا في أصول الدين وفروعه، مع أنهم ما أمِرُوا إلاّ بأن يعبدوا الله، ويُخلِصوا له في عقائدهم وأعمالهم، وألاّ يقلدوا فيها أباً ولا رئيساً، وأن يردّوا إلى ربّهم وحده كلّ ما يعرض لهم من خلاف»[٢]

[الآية ٦]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾. لقد كانت الرسل تتوالى كلّما فسدت الأرض، لتردّ الناسَ إلى الإصلاح. أما وقد شاء الله أن يختم الرسالات إلى الأرض بهذه الرسالةِ الأخيرة الجامعة، الشاملة الكاملة، فقد تحدّد الموقفُ أمام الجميع بصفة قاطعة. فمن كفر بهذه الرسالة أو أشرك بالله، فهو في نار جهنم يَصْلَى نارها، وهو من شِرار الخلق، جزاء إعراضه عن دعوة الحق، وعن رسالة الله.

[الآية ٧]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾. أمّا من اهتدى قلبه للإيمان، وكان إيمانه عن يقين وصدق، فأتبع الإيمان بالأعمال الصالحات، من عبادة وخُلُق، وعمل وتعامل، والتزام بشريعة الله والحفاظ عليها، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ وهم صفوة الله من خلقه، الذين منحهم الهدى، ويسّر لهم العمل بأحكام هذا الدين. قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام/ ٩٠].

[الآية ٨]: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾. لقد أحسن الله جزاءهم في جنّاتِ إقامةٍ دائمةٍ تجري من تحتها الأنهار، في جمالٍ ونعمةٍ ولذّةٍ دائمة؛ وأسمى من ذلك سعادتهم برضا الله عنهم، ومحبّته لهم، ثمّ اطمئنانهم ورضاهم العميق عن ربّهم، وثوابه ونعيمه. وذلك كلّه متوقّف على خشية الله، والخوف منه والالتزام بأمره.

ملخّص السورة

لـمّا بعث الله سيدنا محمداً (ص) تغيّر حال اليهود والنصارى والمشركين، فمنهم من آمن به، ومنهم

---

(٢) تفسير المراغي للأستاذ أحمد مصطفى المراغي، ٣٠/ ٢١٥، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة.

من تردّد في صحة الدين، ومنهم من عاند وتكبّر، مع أن الله تعالى ما أمرهم إلاّ ليعبدوه مخلصين له الدّين، ولكنّ الفسادَ كان قد استشرى بين أتباع الدّيانات السابقة، وكانت البيّنة الواضحة والنور الهادي هو بعثة محمد (ص)، وقد أوضح الله تعالى أنّ من كفر به سيصْلى نارَ جهنّم، وأن من آمن به سيتمتّع برضوان الله في جّنات النعيم.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «البيّنة»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة البيّنة بعد سورة الطلاق؛ ونزلت سورة الطلاق، فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك؛ فيكون نزول سورة البيّنة في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١﴾ وتبلغ آياتها ثماني آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة: بيان فضل القرآن. وقد كانت السورة السابقة في بيان فضل الليلة التي أنزل فيها؛ فجاءت هذه السورة بعدها، لبيان فضله في نفسه.

بيان فضل القرآن
الآيات [١ ـ ٨]

قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١﴾، فذكر سبحانه أن أهل الكتاب والمشركين لم يكونوا منفكّين عمّا هم عليه، حتى تأتيهم البيّنة على فساده، وأنّ هذه البيّنة قد جاءهم بها رسول يتلوها عليهم، وهي صحف مطهَّرة، فيها سُوَر قيّمة، وأنّ أهل الكتاب لم يختلفوا في أمرها، إلاّ بعد أن قامت الحجّة بها عليهم، لأنهم لم يؤمروا فيها إلاّ بإخلاص العبادة له

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

سبحانه، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وذلك هو الدين القيِّم، الذي بعث الأنبياء به؛ ثم أخذت السورة في الترهيب والترغيب فذكرت أنّ أولئك الكافرين في نار جهنم، وأنهم شر البريّة، وأن المؤمنين خير البريّة ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾.



المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «البيّنة»(*)

أقول: هذه السورة واقعة موقع العلّة لما قبلها، كأنه لما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [القدر ١]، قيل: لم أنزل؟ فقيل. لأنه لم يكن الذين كفروا منفكّين عن كفرهم، حتى تأتيهم البيّنة، وهو رسول من الله يتلو صحفاً مطهّرة. وذلك هو المنزّل.

وبذلك تشتد المناسبة بين هذه السورة وبين ما قبلها.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «البيّنة»(*)

إن قيل: المراد بالرسول هنا محمد (ص) بلا خلاف، فلِمَ قال تعالى ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا﴾ [الآية ٢] وظاهره يدلّ على قراءة المكتوب من الكتاب، وهو منتفٍ في حقّه (ص)، لأنّه كان أميّاً؟

قلنا: المراد يتلو ما في الصحف عن ظهر قلبه، لأنه هو المنقول عنه بالتواتر.

فإن قيل: ما الفرق بين الصحف والكتب، حتّى قال تعالى: ﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ﴾؟

قلنا: الصحف القراطيس، وقوله تعالى: ﴿مُّطَهَّرَةً﴾: أي من الشرك الباطل، وقوله تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝﴾ أي مكتوبة مستقيمة، ناطقة بالعدل والحق، يعني الآيات والأحكام.

فإن قيل: لم قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝﴾. أي النبي (ص) أو القرآن، والمراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، وهم ما زالوا متفرّقين يكفّر كلّ فريق منهم الآخر، قبل مجيء البيّنة وبعدها؟

قلنا: المراد به تفرّقهم عن تصديق النبيّ (ص) والإيمان به قبل أن يُبعث، فإنّهم كانوا مجتمعين على ذلك، متّفقين عليه بأخبار التوراة والإنجيل؛ فلمّا بُعِثَ إليهم تفرّقوا؛ فمنهم من

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.

آمن، ومنهم من كفر. وقال بعض العلماء: المراد بالبيّنة ما في التوراة والإنجيل من الإيمان بنبوّته (ص)، ويؤيد هذا القول، أنّ أهل الكتاب أفرِدوا بالذكر في هذا التفرّق، مع وجود التفرّق من المشركين أيضاً، بعدما جُمِعوا مع المشركين في أوّل السورة، فلا بد أن يكون مجيء البيّنة أمراً يخصّهم؛ ومجيء النبيّ (ص) والقرآن العزيز لا يخصّهم.



سورة الزّلزَلة

٩٩


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

أهداف سورة «الزلزلة»(*)

سورة الزلزلة سورة مدنية آياتها ٨ آيات، نزلت بعد سورة النساء.

إنها سورة تهزّ القلب هزاً عنيفاً، يشترك في هذه الهزّة الموضوع والمشهد، والإيقاعُ اللفظي، وصيحةٌ قوّيةٌ مزلزلة للأرض ومَنْ عليها، فما يكادون يفيقون حتى يواجههم الحساب، والوزن، والجزاء، في بضع فقرات قصار؛ وهذا هو طابع الجزء كلّه، يتمثّل في هذه السورة تمثلاً قوياً.

المفردات:

﴿زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الآية ١] اهتزّت واضطربت بعنف وشدة.

﴿زِلْزَالَهَا ۝١﴾: المقدّر لها، وذلك عند النفخة الثانية.

﴿أَثْقَالَهَا ۝٢﴾: ما في باطنها من الموتى.

﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الآية ٣]: الكافر، أو كلّ إنسان.

﴿مَا لَهَا ۝٣﴾: ماذا أصابها من شدّة ما يرى.

﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾: ما كان فيها من أعمال العباد من خير أو شرّ.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾: تحدّث بالأخبار بوحي من الله بما تقول.

﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية ٦]: يرجعون إلى ربّهم.

﴿أَشْتَاتًا﴾ [الآية ٦]: جمع شتيت أي متفرقين.

﴿مِثْقَالَ﴾ [الآيتان ٧و٨]: المثقال ما

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

يوزن به، ومِثْقالُ الشيء ميزانه من مثله.

﴿ذَرَّةٍ﴾ [الآيتان ٧ و٨]: مَثَلٌ في تناهي الصِّغَر.

﴿يَرَهُۥ﴾ [الآيتان ٧ و٨]: المراد يُجازَى به.

مع آيات السورة

[الآيات ١ ـ ٥]: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤﴾.

تصف الآيات مشهد القيامة حينما تضطرب اضطراباً شديداً، وترتجف الأرضُ الثابتة ارتجافاً؛ وتزلزل زلزالاً؛ وتنفض ما في جوفها نفضاً؛ وتُخْرِج ما يثقلها من الكنوز، والدّفائن، والأموات؛ وهو مشهد يخلع القلوب، ويهزّ كلّ ثابت، ويخيَّل للسامعين أنهم يترنّحون ويترجْحون، والأرض من تحتهم تهتزّ وتَمُور. ومثال هذا ما نراه في حياتنا من جبال النار الثائرة (البراكين)، كما حدث في إيطاليا سنة ١٩٠٩م من ثوران بركان فيزوف، وابتلاعه مدينة مسينا، ولم يُبْقِ من أهلها أحداً.

فاذا شاهد الإنسان القيامة بأهوالها، والأرض تتحرّك في زلزال عنيف، وتُخرج ما فيها؛ فإنّه يتساءل من هول ما يرى: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ③﴾؟ وهو سؤال المتحيّر الذي يرى مالم يعهد، وكأنّه يتمايل على ظهرها ويترنّح معها؛ ويحاول أن يمسك بأي شيء يشدّه ويثبته، وكلّ ما حوله يمور مَوْراً شديداً.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④﴾ في ذلك اليوم تنطق الأرض بلسان الحال؛ أي أنّ حالها وما يقع فيها من الاضطراب والانقلاب، ومالم يُعْهد له نظير من الخراب، تُعَلِّمُ السائل وتُفهمه الخبر. ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤﴾ وأَمَرَها أن تمور موراً، وأن تزلزل زلزالها، وأن تُخرج أثقالها... تحدّث أخبارها؛ فهذا الحال حديث واضح عمّا وراءه، من أمر الله ووحيه إليها.

[الآية ٦]: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ⑥﴾ في ذلك اليوم، الذي يُحْدِث الله فيه الزَّلْزلة والهول، يقوم الناس من القبور أشتاتاً متفرّقين، فالمحسنون فريق، والمسيئون فريق، وكل إنسان يرى جزاء عمله.

[الآيتان ٧ ـ ٨]: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ فمن يعمل من الخير أدنى عمل وأصغره فإنّه يجد جزاءه؛ ومن يعمل من الشرّ، ولو قليلاً، فإنّه يجد جزاءه.

مقاصد السورة

اشتلمت هذه السورة الكريمة على ثلاثة مقاصد:

١ ـ اضطراب الأرض يومَ القيامة، ودهشة الناس حينئذ.

٢ ـ ذهاب الناس لموقف العرض والحساب، أشتاتاً متفرّقين لِيُرَوْا أعمالهم.

٣ ـ يكافأ الإنسان على عمله من خير، وإن كان مثقال ذرة، ومقدار نملة؛ ويجازى على ما عمل من شرّ مهما كان صغيراً.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الزلزلة»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نَزَلت سورة الزَّلزَلة بعد سورة النساء، ونزلت سورة النساء، فيما بين صلح الحُدَيْبِية وغزوة تَبُوكَ؛ فيكون نزول سورة الزلزلة في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ وتبلغ آياتها ثماني آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة الترغيب في الخير، والتحذير من الشر؛ وهذا يناسب ما ختمت به السورة السابقة، من أنّ الكافرين هم شر البريّة، والمؤمنين هم خير البرية، فجاءت هذه السورة بعدها، للترغيب في طريق المؤمنين من الخير، والتحذير من طريق الكافرين من الشر.

الترغيب في الخير والتحذير من الشر

الآيات [١ ـ ٨]

قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ فذكر سبحانه أنه إذا حصل زلزال الأرض، وإخراجها دفائنها، وسأل الإنسان عن حالها، أجابته بأنه سبحانه أوحى لها بهذا، لِتُؤْذِنَ بقيام

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

الآخرة، فَيَصْدُرُ النَّاسُ أشتاتاً لِيُرَوْا أعمالهم: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾.

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الزلزلة»(*)

أقول: لمّا ذُكر في آخِر سورة «البيِّنة»: أنّ جزاء الكافرين جهنّم، وجزاء المؤمنين جنّاتٌ، فكأنّه قيل: متى يكون ذلك؟ فقيل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾. أي حين تكون زلزلة الأرض إلى آخره.

هكذا ظهر لي، ثُمّ لمّا راجعت تفسير الإمام الرازي، ورأيته ذكر نحوه حمدت الله كثيراً. وعبارته: ذكروا في مناسبة هذه السورة لِمَا قبلها، وجوهاً منها: أنه تعالى لمّا قال: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [البيِّنة/٨] فكأنّ المكلّف قال: ومتى يكون ذلك يارب؟ فقال جلّ وعلا: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الآية ١].

ومنها: أنّهُ لمّا ذَكَر سبحانه فيها وعيد الكافرين، ووعد المؤمنين، أراد أن يزيد في وعيد الكافرين فقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الآية ١]. ونظيره: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران/١٠٦]. ثمّ ذكر جلّ وعلا ما للطائفتين، فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران/١٠٦] إلى آخره. ثُمّ جمع بينهما هنا في آخر السورة، بذكر الذي يعمل الخير والشر.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.



المبحث الرابع

المعاني اللغوية في سورة «الزلزلة»(*)

قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ أي: أوحى إليها.



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «الزلزلة»(*)

ما معنى إضافة الزلزال، الذي هو المصدر، إلى الأرض، في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ①﴾؟

قلنا: معناه الزلزال الذي تستوجبه في حكمة الله تعالى ومشيئته في ذلك اليوم، وهو الزلزال الذي ليس بعده زلزال، ونظيره قولك: أكرِم التقيَّ إكرامَهُ وأهنِ الفاسقَ إهانَتَهُ؛ تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة، ويجوز أن يكون المراد بالإضافة الاستغراق، ومعناه: زلزالها كله الذي هو ممكن لها.

فإن قيل: لم قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧﴾ على العموم فيهما، وحسنات الكافر مُحْبَطَةٌ بالكفر، وسيِّئات المؤمن مَغْفُوٌّ عنها، مغفورة باجتناب الكبائر، فكيف تثبت رؤية كل عامل جزاء عمله؟

قلنا: معناه: فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يكون من فريق السعداء، ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يكون من فريق الأشقياء، لأنه جاء بعد قوله تعالى: ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الآية ٦]. وذكر مقاتل، أنها نزلت في رجلين من أهل المدينة، كان أحدهما يستقلّ أن يعطي السائل الكسرة أو التمرة، ويقول: إنّما نؤجر على ما نعطيه ونحن نحبّه، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير ويقول: إنما أوعد الله النار على الكبائر.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

المعاني المجازية في سورة «الزلزلة»(*)

في قوله سبحانه: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ استعارتان إحداهما قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾. والأثقال، هنا، كناية عنِ الأموات، لأنهم كانوا ثِقْلاً على ظهرِ الأرض في حال الحياة. أجري عليهم هذا الاسم لهم، عند حصولهم في بطونها بعد الوفاة، أو يكونون إنّما سُمّوا أثقالاً، لأنهم في بطن الأرض بمنزلة الأجنّة في بطون الأمهات، وإذا جاز أن يسمّى الجنين حملاً، جاز أن يسمى ثِقْلاً، لأنّ المعنى واحد؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ [الأعراف/١٨٩] أي صار ما في بطنها من الجنين ثقلاً لها. قالت الخنساء(١):

أَبَعْدَ ابنِ عَمْرٍو مِنَ آلِ الشَّرِيـ ... ـدِ حَلَّتْ بهِ الأرضُ أثقالَها

أي زَيّنَتْ به موتاها. وقال أبو عبيدة اذا كان الميّت في بطن الأرض، فهو ثِقَلٌ لها، وإذا كانت فوقه فهو ثِقَلٌ عليها، فتسمية الأموات بالأثقال تكون على أحد هذين الوجهين: وإمّا أن تكون هي المُثْقَلة به، وأمّا أن يكون هو المُثقَل بها. وقال غيره: معنى قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) (٥٧٥ ـ ٦٤٤) الخنساء من أعظم شواعر العرب، شاعرة مخضرمة، أدركت الاسلام فأسلمت، وحسن إسلامها. قُتل أخواها معاوية وصخر في الجاهلية فرثتهما مُحَرِّضةً قومها على الأخذ بالثأر. لها ديوان أكثره في الرثاء، شرحه ابن السِّكّيت وابن الأعرابي والثعالبي. طبع في بيروت (١٨٨٨).

أي لفظتْ، إلى ظهرها، ما فيها من مدافن الأموات والمكنون إلى ظهرها. والاستعارة الأخرى قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ والمراد بذلك ما يظهر فيها من دلائل انقطاع أحوال الدنيا، وإقبال أشراط الآخرة، فيكون ما يُظْهِرُه الله تعالى فيها من ذلك، قائماً مقام الأخبار، ونائباً عن النطق باللسان؛ وهذا، كما جاء في قولِ من قال: «سَلِ الأرض من شقّ أنهارَكِ، وغرَسَ أشجارَكِ وجنى ثمارَكِ، فإنْ لم تُجِبْكَ حواراً، أجابتك اعتباراً». فكأنّ الأرضَ تُحدِّثُ من يسأل عن أمرها، بأنّ الله تعالى أوحى لها بأن تكون على تلك الصفة التي ظهرت منها، ومعنى ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي أوحى إلى ملائكته عليهم السلام، بأن يُظْهِروا فيها تلك الأشراط، ويحدّثوا بها تلك الأعلام، فلذلك قال: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ ولو كان الوحي خاصة لها، لكان الوجه أن يقال «أوحى إليها»، وقد قال بعضهم ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ «وأوحى إليها» بمعنًى واحد، والاعتماد على القول الذي قدّمناه، لأنّ الوحي يتضمّن أوامرَ ومخاطباتٍ، ولا يجوز أن يؤمرَ ولا يخاطب، إلاّ العاقل المميّز، والمجيب السامع، وليس الوحي إلى الأرض جارياً مجرى الوحي إلى النحل، في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل/٦٨]، لأنّ المراد عندنا بذلك، أنه سبحانه ألهمها ما أراد منها، وهي ما يصحّ فيه، ذلك لأنّها حيوان متصرّف، والأرض لا يصحّ فيها ذلك، لأنها جماد خامد.

سورة العاديات

١٠٠



المبحث الأول

أهداف سورة «العاديات»(*)

سورة العاديات سورة مكّيّة، آياتها ١١ آية نزلت بعد سورة العصر.

تصف سورة العاديات الحرب بين كفّار مكّة والمسلمين، وتبدأ بمشهد الخيل العادية الضابحة، القادحة للشرر بحوافرها، المُغيرة مع الصباح، المثيرة للنقع وهو الغبار، الداخلة في وسط العدوّ فجأة تأخذه على غرّة، وتثير في صفوفه الذعر والفرار، يليه مشهد ما في النفس، من الكُنود والجُحودِ والأَثَرَةِ والشُّحّ الشديد. ثم يعقبه مشهد لبعثرة القبور، وتحصيل ما في الصدور؛ وفي الختام ينتهي النقع المثار، وينتهي الكنود والشُّحّ، وتنتهي البعثرة والجمع، الى نهايتها جميعاً.

ويعود الأمر إلى الله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

المفردات

العاديات: الخيل التي تَعْدو مسرعة.

الضَّبْحُ: صوت أنفاس الخيل حين الجري.

الموريات قَدْحاً: هي الخيلُ تضرب بحوافرها الأرضَ، فتقدح ناراً. يقال: أورى الزّناد، إذا أخرج النار على هيئة شرار.

المغيرات صُبْحاً: خيل الغزاة تغير صباحاً.

الاثارة: التهييج وتحريك الغبار.

النّقْع: الغبار.

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾: توسطن جمعاً من الكفار ففرقنه وهزمنه.

الكُنُود: جحود النعم.

﴿لَشَهِيدٌ ۝٧﴾: يشهد على جحود لسان حاله بأقواله وأفعاله.

﴿ٱلْخَيْرِ﴾: المال.

﴿لَشَدِيدٌ ۝٨﴾: لكثير الحرص عليه.

﴿۞ بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾: أخرج ما فيها من الموتى.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ وأبرز المكنون في الصدور، وظهرت الأسرار.

﴿لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾: بالغ علمه بكل شيء.

مع آيات السورة

[الآيات ١ ـ ٥]: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾.

يقسم الله سبحانه بخيل المعركة، ويصف حركاتها واحدة واحدة، منذ أن تبدأ عَدْوَها وجَرْيَها ضابحةً بأصواتها المعروفة حين تجري، قارعةً للصَّخْرِ بحوافرها، حتّى توري الشرر منها، مغيرةً في الصباح الباكر لمفاجأة العدو، مثيرةً للنقع والغبار، وهي تتوسّط صفوف الأعداء على غرّة، فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب.

[الآيات ٦ ـ ٨]: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾. يقسم سبحانه، على أن الإنسانَ كنودٌ جحودٌ، كَفورٌ بنعمةِ الله، يَعِدُّ المصائب وينسى النعم.

«وروي عن النبي (ص): (الكَنُود الذي يأكل وحده ويضرب عبده، ويمنع رفده)، كأنّه لا يعطي ممّا أنعم الله به عليه، ولا يرأف بعباد الله كما رأفَ الله به، فهو كافر بنعمة ربه. غير أنّ الآية عامة، والمراد منها ذكْرُ حالة من حالات الإنسان التي تلازمه في أغلب أفراده»[1] إلاّ من عصمهم الله، وهم الذين روّضوا أنفسهم على فعل الفضائل، وترك الرذائل.

وسرّ هذه الجملة، أنّ الانسان

(١) تفسير جزء عمّ للأستاذ الإمام محمد عبده، ص ١٠٩، مطبعة الشعب الطبعة السادسة.

يحصر همّه فيما حضره، وينسى ماضيه، وما عسى أن يستقبله، فإذا أنعم الله عليه بنعمة، غرّته، ومنعه البخل والحرص من عمل الخير.

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾: وإن أعماله كلّها لتشهد بذلك، وانه ليعترف بذلك بينه وبين نفسه؛ أو أن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾: وإن الانسان بسبب حبه للمال، وتعلّقه بجمعه وادّخاره، لبخيل، شديد في بخله، ممسك مبالغ في إمساكه، متشدّد فيه.

ومن ثمّ تجيء اللفتة الأخيرة في السورة، لعلاج الكُنُود والشحّ والأثرة، مع عرض مشهد من مشاهد الآخرة.

[الآيات ٩ ـ ١١]: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾.

وهو مشهد عنيف مثير: بَعْثَرَةٌ لما في القبور، بعثرة بهذا اللفظ العنيف المثير، وتحصيل لأسرار الصدور، التي ضنّت بها، وخبّأتها بعيداً من العيون، تحصيل بهذا اللفظ القاسي؛

ومفعول «يعلم» محذوف، لتذهب النفس في تخيله كل مذهب.

أي أفلا يعلم الكنود الحريص، ما يكون حاله في الآخرة يوم تكشف السرائر؟

أفلا يعلم ظهور ما كان يخفى من قسوة وتحيّل؟ أفلا يعلم أنه سيحاسب عليه؟ أفلا يعلم أنه سيُوَفّى جزاء ما كفر بنعمة ربه؟

وتختم السورة بعدل الجزاء، وشهادة الخبير، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾.

فالمرجع إلى ربّهم، وإنّه سبحانه لخبير بهم (يومئذ) وبأحوالهم وبأسرارهم، والله خبير بهم في كل وقت وفي كل حال؛ وإنّما خص هذا اليوم بذلك، لأن هذه الخبرة يعقبها الحساب والجزاء.

كما قال تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران/ ١٨١] مع أنّ كتابة أقوالهم حاصلة فعلاً، والمراد سنجازيهم بما قالوا جزاء يستحقونه.

إن السورة قطعة رائعة، لعرض سلوك الانسان، والوصول به الى مرحلة الجزاء، في أسلوب قوي آسر

معنى ولفظاً، على طريقة القرآن المبين.

المعنى الاجمالي للسورة

١ ـ القَسَم بِخَيل الغزاة والمجاهدين.

٢ ـ بيان حال الإنسان، إذا خلا قلبه من الايمان.

٣ ـ ذمُّ الشُّح والبخل وجحود النعمة.

٤ ـ عرض صورة من مشاهد البعث والحساب والجزاء.



ترابط الآيات في سورة «العاديات»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة العاديات بعد سورة العصر، ونزلت سورة العصر بعد سورة الشَّرح؛ ونزلت سورة الشرح، فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة؛ فيكون نزول سورة العاديات في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة: بيان ميل الإنسان إلى الشرّ، وتحذيره من عقابه يوم الحشر، وهذا فيه مناسبة للغرض المقصود من سورة الزَّلْزَلة، ولهذا ذكرت هذه السورة بعدها.

ميل الإنسان إلى الشر
الآيات [١ ـ ١١]

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ فأقسم سبحانه بالعاديات، وما ذكر بعدها، على أن الإنسان من طبعه الامتناع عن الخير، وأنه يشهد بذلك على نفسه، وأنه أيضاً شديد الحب للمال، فلا ينفق منه في الخير؛ ثمّ هدّده جلّ وعلا بأنه يعلم ذلك، إذا بعثه من قبره، فيعاقبه عليه؛ وختمها تعالى بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أسرار ترتيب سورة «العاديات»(*)

أقول: لا يخفى ما بين قوله تعالى في الزلزلة: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة] وقوله في هذه السورة: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الآية ٩]. من المناسبة والعلاقة[1].



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) أقول: وهناك مناسبة أخرى، هي: بيان الأصل الذي يضلّ به الانسان أو يهتدي. فلمّا ذكر سبحانه في آخر الزلزلة جزاء الإنسان على الخير والشر، بيّن جلّ وعلا هنا أن الإنسان بطبعه يحب الخير؛ وحبّه للخير إمّا للدنيا، وهو الشر، وإمّا للآخرة، وهو حقيقة الخير. فهذا الحب هو الذي يوجّه الأعمال. ثم ذكر الإنسان بيوم يُكشف فيه عما في القلوب من نيّات خفيّة: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ الى آخر السورة. وقد زاد الأمر تفصيلاً في السور التالية.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الرابع

لغة التنزيل في سورة «العاديات»(*)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦﴾.

والكَنُود الكَفُور.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «العاديات»(*)

قال تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ [الآية ٥]

وقرأ بعضهم (فوصطن)[1].



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) لم أعثر على من قرأ بالصاد، والرسم في المصحف بالسين.



لكل سؤال جواب في سورة «العاديات»(*)

إن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ مع أنه تعالى خبيرٌ بهم في كلّ زمان، فما وجه تخصيص ذلك اليوم؟

قلنا: معناه أنَّ ربهم سبحانه، مجازيهم يومئذ على أعمالهم، فالعلم مَجازٌ عن المجازاة، ونظيره قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء/٦٣] معناه يجازيهم على ما فيها، لأن علمه شامل لما في قلوب كل العباد، ويَقْرُب منه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر/١٦].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سورة القَارِعَة

١٠١


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «القارعة»(*)

سورة القارعة سورة مكية، آياتها إحدى عشرة آية، نزلت بعد سورة قريش.

القارعة اسم من أسماء القيامة، كالحاقَّة والصَّاخَّة والطَّامَّة والغاشية، وسُمِّيت قارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها. والسورة كلها عن هذه القارعة، حقيقتِها، وما يقع فيها، وما تنتهي إليه، فهي تعرض مشهداً من مشاهد القيامة. والمشهد المفروض هنا مشهدُ هَوْل، تتناول آثاره الناس والجبال، فيبدو الناس في ظله صغاراً ضئالاً على كثرتهم، فهم كالفَراش المبثوث، مستطارون مستَخَفُّون في حَيْرة الفَراش، الذي يتهافت على الهلاك، وهو لا يملك لنفسه وجهة، ولا يعرف له هدفاً. وتبدو الجبال التي كانت ثابتة راسخة، كالصوف المنفوش، تتقاذفه الرياح، وتعبث به حتى الأنسام.

عندئذ يَرْجَح وزن المؤمن وتَثْقُل درجته، فيعيش عيشة راضية، ويَخِفُّ ميزان الكافر، وتَهْوِي منزلته، فيصطلي بنارٍ حامية.

معاني المفردات

القارعة: يوم القيامة.

وما أدراك ما القارعة: استفهام عن حقيقتها قُصد به تهويل أمرها.

الفراش: الحشرات الصغيرة التي تندفع على غير هدى نحو الضوء.

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

المبثوث: المنتشر المتفرق، وهو مَثَلٌ في الحَيْرة والجهل بالعاقبة.

العِهْن: الصوف.

المنفوش: الذي نفشته بيدك أو بآلة اخرى، ففرقت شعراته بعضها عن بعض.

ثَقُلَت موازينه: بكثرة الحسنات.

خَفَّت موازينه: بقلة الحسنات وكثرة السيئات.

فأُمّه هاوية: أي مرجعه الذي يأوي إليه هاوية، أي مَهْواة سحيقة يهوي فيها.

مع آيات السورة

[الآيات ١ ـ ٣]: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ القارعة: أي القيامة بدأ بها قرعاً للأذهان بهولها.

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾، استفهام عن حقيقتها، قصد به تهويل أمرها، كأنها، لشدة ما يكون فيها، ممّا تفزع له النفوس وتدهش له العقول، يَصْعُب تَصَوُّرها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾: أي شيء يعرفك بها؟ زيادة في تعظيم تلك الحادثة العظيمة، كأن لا شيء يحيط بها، ويفيدك برسمها، ثم أخذ يعرفها بزمانها وما يكون للناس فيه.

[الآية ٤]: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ أي يكون الناس من حيرتهم وذهولهم كالفراش الهائم على وجهه، المنتشر في الفضاء لا يدري ماذا يصنع، قال تعالى في آية أخرى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر/٧].

[الآية ٥]: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ أي تصبح في صور الصوف المنفوش، فلا تلبث أن تذهب وتتطاير، وفي سورة النبأ قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾.

[الآيتان ٦ ـ ٧]: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾، أي من ثقلت موازينه برجحان كفّة حسناته على سيئاته، فهو في الجنة. ويقال ثَقُل ميزان فلان إذا كان له قَدْرٌ ومنزلة رفيعة، كأنه اذا وُضِع في ميزان كان له رَجَحان. وإنما يكون المقدار والقيمة لأهل الأعمال الصالحة، والفضائل الراجحة، فهؤلاء يُجْزَون النعيم الدائم والعيشة الراضية.

[الآيتان ٨ ـ ٩]: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ

مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ يقال خفّ ميزان فلان، أي سقطت قيمته، فكأنّه ليس بشيء، حتى لو وضع في كفّة ميزان لم يَرْجَح بها على أختها؛ ومن كان في الدنيا كثير الشر قليل فعل الخير، يجترئ على المعاصي، ويُفْسِد في الأرض، فإنه لا يكون شيئاً في الآخرة، ولا تَرْجَح له كفّة ميزان لو وضع فيها.

ويرى بعض المفسرين أن الذي يُوزَن هو الصحف، التي تكتب فيها الحسنات والسيئات. وأن الحسنات تُمَثَّل وتقابَل بالنور والخير، وأنّ السيّئات تمثّل وتقابل بالظلام والشر. وأن من كثر خيره كان ناجياً، ومن كَثُر شرّه كان هالكاً.

وهذا الميزان نؤمن به ونفوض حقيقة المراد منه إلى الله تعالى، فلا نسأل كيف يزن؟ ولا كيف يقدّر؟ فهو أعلم بغيبه ونحن لا نعلم.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٞ شَيْـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٖ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء].

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾﴾: مرجعه الذي يأوي اليه كما يأوي الولد الى أمه، أي فمسكنه ومأواه النار.

١٠ ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ أي ما الذي يخبرك بما هي تلك الهاوية، وأي شيء تكون؟

١١ ـ ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ هي نار ملتهبة بلغت النهاية في الحرارة، يهوي فيها ليلقى جزاء ما قدم من عمل.

مقاصد السورة

١ ـ وصف أهوال يوم القيامة ومشاهده.

٢ ـ وزن الأعمال، ورَجَحان كفة المؤمن، وخفة كفة الفاجر.

٣ ـ السعداء يدخلون الجنة، والأشقياء يذهبون الى النار.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «القارعة»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة القارعة بعد سورة قُرَيش، ونزلت سورة قريش بعد سورة التين، ونزلت سورة التين فيما بين الهجرةإلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة القارعة في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إثبات وزن الأعمال يوم القيامة، فهي في سياق الترغيب والترهيب كسورة العاديات، ولهذا ذكرت بعدها.

وزن الأعمال يوم القيامة الآيات [١ ـ ١١]

قال الله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾، الآيات. . .، فذكر أن القارعة هي القارعة: لأنها تفوق كل القوارع في الهول والشدة، وأنها تكون يوم ينتشر الناس بعد البعث من القبور، فَيُجمعون لوزن أعمالهم، فَمَن ثَقُلت موازينه فهو في عيشة راضية، ومن خفّت موازينه فأمّه هاوية ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أسرار ترتيب سورة «القارعة»(*)

قال الإمام: لما ختم الله سبحانه السورة السابقة بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ فكأنه قيل: وما ذاك؟ فقال: هي القارعة. قال: وتقديره: ستأتيك القارعة على ما أخبرت عنه، بقوله جلّ وعلا: ﴿۞ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾ [العاديات].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الرابع

لغة التنزيل في سورة «القارعة»(*)

قال تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾.

من قولهم إذا دَعَوا على الرجل بالهلكة: هَوَت أمُّه لأنه إذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه ثُكلاً وحزناً.

قال كعب:

هَوَتْ أمُّه ما يبعثُ الصُّبْح غادياً
وماذا يَرُدّ الليل حين يؤوب

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني اللغوية في سورة «القارعة»(*)

قال تعالى: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ وواحدها: «العِهْنَة» مثل: «الصُوف» و«الصُوفَة» وأما قوله: ﴿مَا هِيَهْ﴾ بالهاء، فلأن السكت عليها بالهاء، لأنها رأس آية.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «القارعة»(*)

إن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾ أي رجحت سيئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ أي فمسكنه النار، وأكثر المؤمنين حسناتهم راجحة على سيئاتهم؟ قلنا: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ لا يدل على خلوده فيها، فيسكن المؤمن بقدر ما تقتضيه ذنوبه، ثم يخرج منها إلى الجنة: وقيل المراد بخفة الموازين خلوّها من الحسنات بالكلية، وتلك موازين الكفّار.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث السابع

المعاني المجازية في سورة «القارعة»(*)

في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ استعارة. وهاوية هنا من أسماء النار، كأنها تهوي بأهلها الى قعرها؛ وإنّما جعلت أمّه لضمّها له واشتمالها عليه؛ ويشبه ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٥﴾ [الحديد]. وقد فسّر ذلك سبحانه بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾. وقال بعضهم: بل سُميت هاوية لِهَوِيّ المعذّبين في قعرها، فكان ظاهر الفعل لها وحقيقته لغيرها. كما قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾. والمراد مرضيّة؛ ونظائر ذلك كثيرة وقال بعضهم: إنّما خرج ذلك على مخرج كلام العرب، لأنهم يقولون للواقع في المكروه، والمرتكس في الأمر: هوت أمّ فلان. ويقولون: ويل أم فلان، ويَعْنون: هوت أي سقطت في مهواة، وهو مثل قولهم ظلّت وهلكت، لأنّ هلاك ولدها كهلاكها. وقال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار:

هوت أمه ما يبعثُ الصبح غادياً
وماذا يواري الليل حين يؤوب

وقال بعضهم معنى ذلك هوت أمّ رأسه، واذا هوت أمّ رأسه وهي معظم دماغه، فقد هوى سائره وهلك.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة التّكاثُر

١٠٢



أهداف سورة «التكاثر» (*)

سورة «التكاثر» سورة مكّيّة، آياتها ثماني آيات، نزلت بعد سورة «الكوثر».

من أسباب النزول

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي بريدة قال: «نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ في قبيلتين من الأنصار هما بنو حارثة وبنو الحرث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: أفيكم مثل فلان وفلان، وقالت الأخرى مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء ثمّ قالوا: انطلقوا بنا الى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: أفيكم مثل فلان وفلان وتشير إلى القبر، ومثل فلان، وفَعَل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله هذه السورة».

المفردات

ألهاكم: شغلكم.

التكاثر: التباهي والتفاخر بالكثرة في الأموال والأولاد والأهل والعشيرة.

زرتم المقابر: صرتم إليها ودفنتم فيها.

كلاّ: كلمة يراد بها الزجر والردع.

سوف تعلمون: خطأ ما أنتم فيه من التكاثر والتباهي وكرّر الجملة للتأكيد.

لو تعلمون علم اليقين: المراد ما ألهاكم ذلك عن الآخرة والعمل لها.

لَتَرَوُنَّ الجحيم: تفسير للوعيد السابق المكرر.

عين اليقين: عين هي اليقين نفسه.

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

هذه السورة صيحة بالقلب البشري الغارق في التفاخر والتكاثر بالدنيا ومظاهرها، وتنبيه له الى أن ما تفاخر به الى زوال، وأن الدنيا قصيرة، وأن الغاية الى حفرة ضيّقة، وهناك ترى الحقيقة الباقية، واليقين المؤكّد، وتسأل عن هذه الألوان المتنوعة من الملذات، وعن سائر ألوان النعيم، عن الشباب والمال والجاه والصحة والعافية ماذا عملت بها.

«ورُوِي يُسأل عن التنعم الذي شغله الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه، وعن الحَسَن: يُسأل عمّا زاد عن كِنٍّ يؤويه، وثوبٍ يواريه، وكِسْرة تُقَوِّيه».

مع آيات السورة

[الآيـــتـــان ١ ـ ٢]: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ أيـهـا السـادرون الـغـافـلـون. أيـهـا اللاهـون المتكاثرون بالأموال والأولاد وأعراض الـحـيـاة، وأنـتـم مـفـارقـون، أيـهـا المخدوعون بما أنتم فيه عمّا يليه. أيها التاركون ما تتكاثرون به وتتفاخرون، إلى حفرة ضيّقة لا تكاثر فيها ولا تفاخر، استيقظوا وانظروا. فقد شغلكم حبّ الكثرة والفخر حتى هلكتم، وصرتم من الموتى ورأيتم الحساب والجزاء.

وفي صحيح مسلم عن مطرف عن أبيه قال: «أتيت النبي (ص) وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال: يقول ابن آدم مالي ومالك، يا بن آدم ليس لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس».

[الآيـــتـــان ٣ ـ ٤]: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ أي ازدجروا عن مثل هذا التكاثر والتفاخر، والجأوا إلى التناصر على الحق، والتكاتف على أعمال البر، والتضافر على مافيه حياة الأفراد والجماعات، من تقويم الأخلاق، والتعاون على الخير والمعروف.

وإنكم سوف تعلمون سوء مغبّة ما أنتم عليه. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ وهو تكرير للوعيد لتأكيد الزجر والتوبيخ، كما يقول الإنسان لآخر: أقول لك لا تفعل، ثم أقول لك لا تفعل.

[الآيـــة ٥]: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾ أي ارتدعوا عن تغريركم بأنفسكم، فإنكم لو تعلمون عاقبة

أمركم، لشغلكم ذلك عن التكاثر، وصرفكم إلى صالح الأعمال؛ وأنَّ ما تدعونه علماً ليس في الحقيقة بعلم، وإنّما هو وهم وظنّ، لا يلبث أن يتغير، لأنّه لا يطابق الواقع، والجدير أن يسمّى علماً إنّما هو علم اليقين المطابق للواقع بناء على العِيان والحس، أو الدليل الصحيح الذي يؤدّيه العقل، أو النقل الصحيح عن المعصوم (ص).

[الآية ٦]: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾: ولا شك في رؤيتها، والمراد برؤية الجحيم ذوق عذابها، ثم أكد هذا المضمون بقوله تعالى:

[الآية ٧]: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ أي لترونّها رؤية هي اليقين بنفسه، مهما كانت نسبتكم أو مجدكم، فلن ينجيكم منها سوى أعمالكم.

[الآية ٨]: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ لتسألن عنه من أين نلتموه؟ وفيم أنفقتموه؟ أمن طاعة وفي طاعة؟ أم من معصية وفي معصية؟ أمن حلال وفي حلال؟ أم من حرام وفي حرام؟ هل شكرتم؟ هل أدّيتم حقّ النعيم؟ هل شاركتم الفقير والمسكين؟ هل استأثرتم وبخلتم ومنعتم صاحب الحق حقه؟

لتُسألُنّ عمّا تتكاثرون به وتتفاخرون... فهو عبءٌ تستخفّونه في غمرتكم ولهوكم، ولكنّ وراءه ما وراءه مِن همٍّ ثقيل.

رُوي أن رسول الله (ص) قال: «من أصبح آمناً في سربه، معافًى في بدنه، عنده قُوتُ يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

أهداف سورة التكاثر

١ ـ ذم الانشغال بمظاهر الحياة.

٢ ـ التذكير بالموت والقبر والحساب.

٣ ـ زجر الغافلين والعابثين وتذكيرهم بيوم الدين.

٤ ـ لن ينقذهم من النار جاه ولا سلطان، لن ينفعهم سوى العمل الصالح.

٥ ـ الحساب على النعيم حق، فيجب أن يكون النعيم حلالا طيباً.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «التكاثر»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة التّكاثر بعد سورة الكوثر، ونزلت سورة الكوثر بعد سورة العاديات، ونزلت سورة العاديات فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة التكاثر في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾ وتبلغ آياتها ثماني آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تحريم التفاخر بالأموال والأولاد، وبيان أنّ هذا التفاخر هو الذي ألهى قريشاً عن قبول الدعوة، وبهذا تكون هذه السورة في سياق الترهيب، وهو من سياق السورة السابقة، وهذا هو وجه المناسبة في ذكر هذه السورة بعدها.

تحريم التفاخر
الآيات [١ ـ ٨]

قال الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ②﴾ فوبّخهم على إلهاء التفاخر بالأموال والأولاد لهم عن قبول الدعوة، ثم هدّدهم بأنهم سوف يعلمون ما يعاقبون به، وذكر أنهم لو يعلمون ذلك يقيناً لرأوه الجحيم، ثم هدّدهم بأنّهم سيرونها عين اليقين: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ⑧﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أسرار ترتيب سورة «التكاثر»(*)

أقول: هذه السورة واقعة موقع العلّة لخاتمة ما قبلها، كأنه لما قال تعالى هناك: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة]. قيل: لِمَ ذلك؟ فقال جلّ وعلا: لأنكم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾. فاشتغلتم بدنياكم، وملأتم موازينكم بالحطام، فخفَّت موازينكم بالآثام؛ ولهذا أعقبها بسورة العصر، المشتملة على أن الإنسان في خُسر، إلاّ من آمن وعمل صالحاً، وتواصى بالحق وتواصى بالصبر؛ وفي ذلك بيان للفارق بين تجارة الدنيا الفانية وتجارة الآخرة الخالدة؛ ولهذا أعقبها بسورة الهُمَزة، المتوعَّد فيها مَن جمع مالاً وعدَّده، يحسب أن ماله أخلده. فانظر إلى تلاحم هذه السور الأربع، وحسن اتساقها(١).

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) ومن المناسبة كذلك: التصريح هنا بوزن الأعمال التي أجملها في الزلزلة، وبيّن أصلها في العاديات.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «التكاثر»(*)

إن قيل: أين جواب ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾؟

قلنا: هو محذوف تقديره: لو تعلمون الأمر يقيناً لشغلكم عن التكاثر والتفاخر، ثم ابتدأ السياق بوعيد آخر، فقال سبحانه ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾.

فإن قيل: كلّ أحد لايخلو عن نيل نعيم في الدنيا، ولو مرّة واحدة، فما النعيم الذي يُسأل عنه العبد؟

قلنا: فيه سبعة أقوال: أحدها أنه الأمن والصّحة. الثاني: أنه الماء البارد. الثالث: أنه خبز البر والماء العذب. الرابع: أنّه مأكول ومشروب لذيذان. الخامس: أنه الصحة والفراغ. السادس: أنه كل لذة من لذات الدنيا. السابع: أنه دوام الغداء والعشاء. وقيل إن السؤال خاصّ بالكفّار، والصحيح أنه عامّ في كلّ إنسان وفي كل نعيم، فالكافر يُسأل توبيخاً والمؤمن يُسأل عن شكرها، ويؤيّد هذا ماجاء في الحديث أنه (ص) قال: «يقول الله تعالى: ثلاث لا أسأل عبدي عن شكرهنّ، وأسأله عمّا سوى ذلك: بيت يكنّه، وما يقيم به صُلْبه من الطعام، وما يواري به عورته من اللّباس».

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.



المبحث الخامس

المعاني المجازية في سورة «التكاثر»(*)

في قَوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ هذه استعارة على بعض الأقوال، وهو أن يكون المراد: ثمّ لتروّنها بعين اليقين، ثم نُزِعَت الباء فَنُصِبَت العين، ويكون ذلك من باب قول الشاعر:

كما عَسَلَ الطَّريقَ الثعلبُ

أي في الطريق، وقال بعضهم: معنى ذلك على مثال قولهم عين الشيء أي حقيقته. وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الحاقة]. وقال بعضهم معنى «عَيْنَ اليقين» أي حاضر اليقين، ومنه قولهم في المثل: «تطلب أثراً بعد عَيْن» أي غائباً بعد حاضر، وعلى ذلك قول الأعشى[1]:

وَمَنْ لا يُصَدِّعْ لَهُ هِمَّةٌ
فَيَجْعَلُها بَعْدَ عَيْنٍ ضِماراً

والضمار الغائب، والعين الحاضر، ومنه الحديث في زكاة الضِّمار أي الغائب والنَّسِيئة.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.

(1) الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل والبيت المذكور من قصيدة له، وقد جاء صدر البيت في ديوان الأعشى هكذا: «ومَنْ لا تُضاعُ له ذِمَّةٌ».



سورة العَصْر

١٠٣


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «العصر»(*)

سورة «العصر» سورة مكية، آياتها ثلاث، نزلت بعد سورة «الشرح».

«وفي هذه السورة الصغيرة، يتمثّل منهج كامل للحياة البشرية، كما يريدها الله تعالى. وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح صورة وأدقها.

إنها تضع الدستور الإسلاميّ كلّه في كلمات قصار، وتصف الأمة المسلمة: حقيقتها ووظيفتها في آية واحدة، هي الآية الثالثة من السورة. وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلاّ الله.

والحقيقة الضخمة التي تقررها هذه السورة بمجموعها هي هذه: أنه على امتداد الزمان في جميع العصور، وامتداد الإنسان في جميع الدهور، ليس هنالك إلاّ منهج واحد رابح، وطريق واحد ناج، هو ذلك المنهج الذي ترسم السورة حدوده وتوضح معالمه.

إن العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان، وبذلك يصبح الإيمان قوّة دافعة، وحركة وعملاً، وبناءً وتعميراً يتّجه إلى الله سبحانه.

أمّا التواصي بالحق والصبر، فيُبرز صورة الأمة المسلمة متضامنة متضامّة، خيِّرة واعية، قائمة على حراسة الحق والخير، متواصية بالحق والصبر في مودّة وتعاون وتآخ.

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

المفردات

العصر: اسم للدهر أي الزمن الذي يحياه الإنسان، وقيل أقسم الله جلّ وعلا بصلاة العصر لفضلها، أو أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى.

خُسْر: هلاك لسوء تصرفه وكثرة آثامه.

تواصَوْا: تناصحوا وتعاهدوا.

بالحق: الواجب مِنْ فِعْل الطاعات وتَرْك المحرّمات.

[الآيتان ١ ـ ٢]: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ أقسم الله بالزمن وهو ماض لا يقف، متغيّر لا يَقِرّ، على أنّ الإنسان الذي يُهمل إيمانه ومرضاة ربّه إنسانٌ خاسر مهما كان رابحاً من مظاهر الحياة، لأنه قد خسر الجنة وخسر الكمال المقدّر له فيها، وخسر مرضاة الله وطاعته.

[الآية ٣]: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.

المؤمن يدرك أنه جسد وروح، وهو ذو قلب وعقل، وذو عواطف وجوارح؛ وسعادته في نموّ هذه القوى نمواً متناسقاً. وفي دور الخلافة الرشيدة للمسلمين تعاونت قوة الروح والأخلاق والدين والعلم والأدوات المالية، في تنشئة الإنسان الكامل، وفي ظهور المدينة الصالحة.

وكانت حكومة المسلمين من أكبر حكومات العالم قوة وسياسة وسيادة، تزدهر فيها الأخلاق والفضيلة مع التجارة والصناعة، ويساير الرقيّ الروحيّ التقدم المادي والحضاري.

وخلاصة السورة أن الناس جميعاً في خُسْران إلاّ من اتّصفوا بأربعة أشياء:

الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحقّ، والتواصي بالصبر.

«وهذه السورة حاسمة في تحديد الطريق أنه الخُسر ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.

طريق واحد لا يتعدد، طريق الإيمان والعمل الصالح، وقيام الجماعة المسلمة، التي تتواصى بالحقّ وتتواصى بالصّبر، وتقوم متضامنة على حراسة الحق، مزوَّدة بزاد الصبر.

إنه طريق واحد، ومن ثَمَّ كان الرجلان من أصحاب رسول الله (ص) إذا التقيا، لم يتفرّقا حتى يقرأ أحدهما

على الآخر سورة ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝﴾ ثمّ يسلّم أحدهما على الآخر».

لقد كانا يتعاهدان على الإيمان والعمل الصّالح، والتّناصح بالحقّ والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والصّبر والتحمّل في سبيل الدعوة إلى الهدى والرّشاد.

خلاصة أهداف السورة

١ ـ جنس الإنسان في خُسْر وضياع.

٢ ـ النجاة لمن آمن وعمل صالحاً، وحَثّ على الفضيلة والحقّ، وتحلّى بالثّبات والصّبر.



ترابط الآيات في سورة «العصر»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة العصر، بعد سورة الشَّرح، ونزلت سورة الشرح فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة العصر في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ وتبلغ آياتها ثلاث آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة الترغيب في العمل الصالح، وقد أتى هذا في مقابلة ما كان منهم من التّفاخر بالأموال والأولاد، ولهذا ذكرت سورة العصر بعد سورة التكاثر.

الترغيب في العمل الصالح [آيات السورةِ كلُّها]

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ والمراد بالعصر الدهر أو الليل والنهار، أو وقت العصر أو صلاته، ثم استثني من ذلك الحكم على الإنسان: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «العصر»(*)

إن قيل: الاستثناء الذي في السورة لا يدل على أن المؤمنين الموصوفين في ربحٍ، مع أن الاستثناء إنّما سيق لمدحهم، بمضادّة حالهم لحال من لم يتناوله الاستثناء؟

قلنا: إن الاستثناء، وإن لم يَدُلَّ بصريحه على أنهم في أعظم ربح، ولكن اتّصافهم بتلك الصفات الأربع الشريفة يدل على أنهم في أعظم ربح، مع أنّا لو قدّرنا أنّهم ليسوا في ربح، فالمضادّة حاصلة أيضاً لأنهم ليسوا في خُسْر بمقتضى الاستثناء.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.



سورة الهُمَزَة

١٠٤



المبحث الأول

أهداف سورة «الهُمَزة»(*)

سورة «الهُمَزَة» سورة مكية، آياتها تسع آيات، نزلت بعد سورة «القيامة».

المفردات

﴿وَيْلٌ﴾: خِزْيٌ وهلاك وعذاب، وهو لفظ لا يستعمل الا في الذم والقدح.

﴿هُمَزَةٍ﴾: من ينتقص الناس بالقول.

﴿لُّمَزَةٍ ①﴾: من يؤذي الناس بالفعل، فكلاهما طعّان عيّاب.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ②﴾: شُغِف بجمع المال وعَدِّهِ والتكاثُر فيه، ولا يُنفقه ولا ينتفع به.

﴿يَحْسَبُ﴾: يظنّ.

﴿أَخْلَدَهُۥ ③﴾: حقّق له الخلود في الدنيا.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: لَيُطْرَحَنَّ.

﴿ٱلْحُطَمَةُ ⑤﴾: من أسماء النار لتحطيم المعذَّبين فيها.

﴿ٱلْمُوقَدَةُ ⑥﴾: المستعرة.

﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ⑦﴾: القلوب التي استقرت فيها العقائد الفاسدة.

﴿مُّؤْصَدَةٌ ⑧﴾: مغلقة مطبقة.

﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ⑨﴾: قيل هي القيود والأثقال، وقيل العمد التي تتخذ لإيصاد أبواب جهنم على من فيها.

فكرة السورة

تعكس هذه السورة صورةً من الصور الواقعية، في حياة الدعوة في عهدها

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

الأول، وهي في الوقت ذاته نموذج يتكرر في كل بيئة، صورة اللئيم الصغير النفس الذي يُؤتَى المال، فتستطير نفسه به، حتى ما يطيقُ نفسه، ويروحُ يشعر أن المال هو القيمة العليا في الحياة، القيمة التي تَهون أمامها جميع القيم وجميع الأقدار: أقدار الناس، وأقدار المعاني، وأقدار الحقائق. كما يروح يَحسَب أن هذا المال إلهٌ قادر على كل شيء، لا يَعجِز عن دفع شيء، حتى دَفْعِ الموت وتخليد الحياة.

ومن ثَمَّ ينطلق في هَوَسٍ بهذا المال، يُعَدِّده ويستلذّ تعداده، وتنطلق في كيانه نفخة فاجرة، تدفعه إلى الاستهانة بأقدار الناس، وهَمْزهم ولَمْزهم، وانتقاص قدرهم، وتحقير شأنهم. وهي صورة لئيمة من صور النفوس البشرية، حين تخلو من المروءة. والإسلام يكره هذه الصورة الهابطة، وقد نهى القرآن عن السخرية واللمز في مواضع شتى، إلاّ أن ذكرها هنا، بهذا التشنيع، يوحي بأنه كان يواجه حالة واقعية من بعض المشركين تجاه رسول الله (ص) وتجاه المؤمنين، فجاء الرد عليها في صورة الردع والتهديد والوعيد.

أسباب النزول

قال عطاء والكلبي: نزلت هذه السورة في الأخنس بن شريق، كان يلمُز الناس ويغتابهم، وبخاصة رسول الله (ص).

وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب النبي (ص) من ورائه، ويطعن فيه في وجهه.

وقال محمد بن إسحاق صاحب السيرة: مازلنا نسمع أنّ هذه السورة نزلت في أمية بن خلف.

مع آيات السورة

[الآية ١]: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾: ويلٌ وعذابٌ شديد لكل سَبّاب عَيّاب، ينتقص الناس بالإشارة والحركة، والقول والفعل، وبناء الصفة على «فُعَلَة» يفيد كثرة وقوع الفعل، وجريانه مجرى العادة. وعن مجاهد وعطاء: الهُمَزة الذي يطعنُ الإنسانَ في وجهه، واللُّمَزَة: الذي يطعنه في غيابه.

[الآية ٢]: ﴿الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ إن ما دعا هذا وأمثاله الى الحط

من أقدار الناس ظَنُّه الخاطئ بأنه، إذْ يجمع المال، ويبالغ في عدّه والمحافظة عليه، إنّما هو أمر يرفع قدره، ويضمن له منزلة رفيعة، يستطيع بها أن يطلق لسانه في أعراض الناس، وأن يؤذيهم بالقول والفعل.

[الآية ٣]: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ (٣)﴾: أنّ حبه للمال أنساه الموت والمآل فهو يأنس بماله، ويظن أن هذا المال الذي أجهد نفسه في جمعه، وبَخِل به حتّى على نفسه، إنّما يحميه من الموت ويورثه الخلود.

[الآية ٤]: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ (٤)﴾: لقد قابل القرآن بين كبريائه وتعاليه على الناس، وبين جزائه في الحطمة، التي تحطم كل ما يُلقى إليها، فتحطم كيانه وكبرياءه.

[الآية ٥]: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ (٥)﴾؟: سؤال للتهويل والتعظيم، أي: أي شيء أعلمك بها، فإنّ هذه الحطمة ممّا لا يحيط بها عقلك، ولا يقف على كنهها علمك، ولا يعرف حقيقتها إلاّ خالقُها، سبحانه وتعالى.

[الآية ٦]: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ (٦)﴾: إنّها النار التي تُنسب الى الله الذي خلقها، وهي موقدة لا تَخْمُد أبداً، ثمّ وصف هذه النار بعدة صفات فيها تناسق تصويري يتفق مع أفعال «الهُمَزة اللُّمَزة».

[الآية ٧]: ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ (٧)﴾: إنها تصل الى الفؤاد، الذي ينبعث منه الهمز واللمز، وهي تتغلّب على الأفئدة وتقهرها، فتدخل في الأجواف حتّى تصل الى الصدور فتأكل الأفئدة؛ والقلب أشدّ أجزاء الجسم تألّماً، فإذا استولت عليه النار فأحرقته فقد بلغ العذاب بالإنسان غايته.

والنار لا تصل إلى الفؤاد إلاّ بعد أن تأكل الجلود واللحوم والعظام، ثمّ تصل إلى القلوب، والأفئدة موطن الإحساس والاعتقاد. ومن كلمات عمر بن الخطاب للكفار: «حرق الله قلوبكم» أي أصابكم بأشدّ ألوان المحن والألم.

[الآية ٨]: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨)﴾: إنها مطبقة عليهم لا يخرجون منها ولا يستطيعون الفرار أو الهرب، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [الحج/ ٢٢].

[الآيــة ٩]: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾:

العمد جمع عمود وهو معروف، والممدّدة المطوّلة أي أنه أطبقها، وأغلقها في عمد طويلة تمد على أبوابها بعد أن تؤصد، وهو تصوير لشدة الإطباق وإحكامه، وتأكيد لليأس من الخلاص.

قال مقاتل: إن الأبواب أطبقت عليهم، ثمّ شدت بأوتاد من حديد، فلا يفتح عليهم باب، ولا يدخل عليهم روح.

اللهم أجِرْنا من النار، ومن عذاب النار، وأدخلنا الجنة مع الأبرار بفضلك يا عزيز ياغفّار.

أهداف السورة

١ ـ من الناس من يرى مَثَلَهُ الأعلى في جمع المال والتعالي على العباد، وهو نموذج.

٢ ـ الويل والعذاب ينتظران كلّ عيّاب وسبّاب.

٣ ـ المال نعمة من الله، ولكنّ العمل الصالح هو الوسيلة النافعة.

٤ ـ البخيل بالمال المتعالي على العباد له نار متّقدة تحرق جسمه وتصل إلى فؤاده.

٥ ـ هذه النار مغلقة عليه، يظلّ حبيساً فيها أبد الآبدين.



المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الهُمَزة»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الهُمَزَة بعد سورة القيامة، ونزلت سورة القيامة فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة الهمزة في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾. وتبلغ آياتها تسع آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تحريم الاغترار بالمال وما يجرّه من تنقيص الناس، وهي، في هذا، تشبه السورتين المذكورتين قبلها؛ ولهذا ذكرت بعد السورة السابقة لمناسبتها لها في سياقها.

تحريم الاغترار بالمال
الآيات [١ ـ ٩]

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾، فذكر أن الويل لكل عيّاب في النّاس بأفعاله أو أقواله، لأنه جمع من المال مالم يجمعه غيره فتعالى به عليه، ثمّ هدّده بالنّبذ أي الطرح في الحُطَمَة، وذكر أنها ناره الموقدة، وأنها تَطّلع على الأفئدة، أي يبلغ ألمها إليها، وأنها عليهم مؤصدة، أي مطبقة مغلقة ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكنونات سورة «الهُمَزة»(*)

أخرج ابنُ أبي حاتم عن عثمانَ بنِ عُمَر قال: مازلْنا نسمع أنّ:

١ ـ ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ﴾.

نَزَلت في أُبَيّ بن خَلَف.

وأخرج عن السُّدّي قال: نَزَلت في الأخْنَس بن شَرِيق.

وأخرج عن مجاهد: في جميل بن فلان[1].

وعن ابن جريج قال: قال ناس إنه الوليد بن المغيرة[2].

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) في رواية «الطبري» ٣٠/١٨٩: «عن ابن أبي نجيح، عن رجل من أهل الرقة، قال: نزلت في جميل بن عامر الجمحي».

(٢) وأخرج ابن المنذر عن ابن إسحاق قال: «كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله (ص) هَمَزَه ولَمَزَه، فأنزل الله تعالى ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ السورة كلها» نقله السُّيوطي في «اللباب النقول في أسباب النزول» ص ٨١٢ (بهامش الجلالين).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لغة التنزيل في سورة «الهُمَزة»(*)

١ ـ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾.

أقول: أصل الهمز الكسر كالهزم، واللمز: الطعن.

والمراد الكسر من أعراض الناس والغضّ منهم.

وبناء «فُعَلة» كهُمَزة ولُمَزة، يدل على أن ذلك عادة منه، فهو يهمز ويلمز الناس على دأبه وعادته.

ومثله يقال: ضُحَكة أي: كثير الضحك على الناس.

وقُرئ: هُمْزة ولُمْزة بسكون الميم، أي: يأتي بالأوابد والأضاحيك فيُضحَك منه.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني اللغوية في سورة «الهُمَزة»(*)

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ من «العِدَّة».

وقال: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾ أي: هو وماله.

وقال ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ من «آصَدَ» «يُؤْصِدُ» وبعضهم يقول: «أُوْصِدَ» فذلك لا يهمزها مثل «أوْجَعَ» فهو «مُوجع» ومثله «آكَفَ» و «أوْكَفَ» يقالان جميعاً.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «الهُمَزة»(*)

إن قيل: ما الفرق بين الهُمَزَة واللُّمَزَة؟

قلنا: قيل إنّهما بمعنًى واحد لافرق بينهما، وإنما الثاني تأكيد للأول. وقيل إنهما مختلفان، فقيل الهُمَزة المغتاب، واللُّمَزة العَيّاب. وقيل الهُمزة العيّاب في الوجه، واللُّمزة في القفا، وقيل الهمزة الطعّان في الناس، واللمزة الطعّان في أنساب الناس. وقيل الهمزة يكون بالعين، واللمزة باللسان. وقيل عكسه، فهذه ستة أقوال.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني المجازية في سورة «الهُمَزة»(*)

في قوله سبحانه: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾. استعارات عدة منها قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾. والحُطَمَة اسم من أسماء النار نعوذ بالله منها. وانما سميت بذلك، والله أعلم، لكثرة أكلها للواقعين فيها؛ يقال رجل حُطَمَة إذا كان كثير الأكل. وهذه من صفات المبالغة. وقد يجوز أن يكون معنى ذلك أنها تحطم كلّ ما يقع فيها، أي تكسره وتأتي عليه. ومنها قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾. والمراد بذلك: أنّ ألمها ومضضها[1] يصلان إلى الأفئدة والقلوب ويبلغان منها كلّ مبلغ، ويطبقان كلّ موضع، فكأنّها بذلك مطّلعة عليها ومخالطة. ويقول القائل: اطّلعت عَلى أرض بني فلان: إذا بلغها. وقد يجوز أيضاً أن يكون لذلك معنًى آخر، وهو أن شعب النار تدخل من افواههم حتّى تصل إلى أفئدتهم وقلوبهم، ويكون ذلك أبلغ في المضض وأعظم للألم، وقد قال بعضهم في ذلك معنًى آخر، وهو أن يكون المراد أنّ الله تعالى يخلق في النار عِلماً تطّلع به على معرفة ضمائر المعاقبين، فتوصل الآلام إليهم على قدر مراتبهم في الذنوب: إن كانوا من

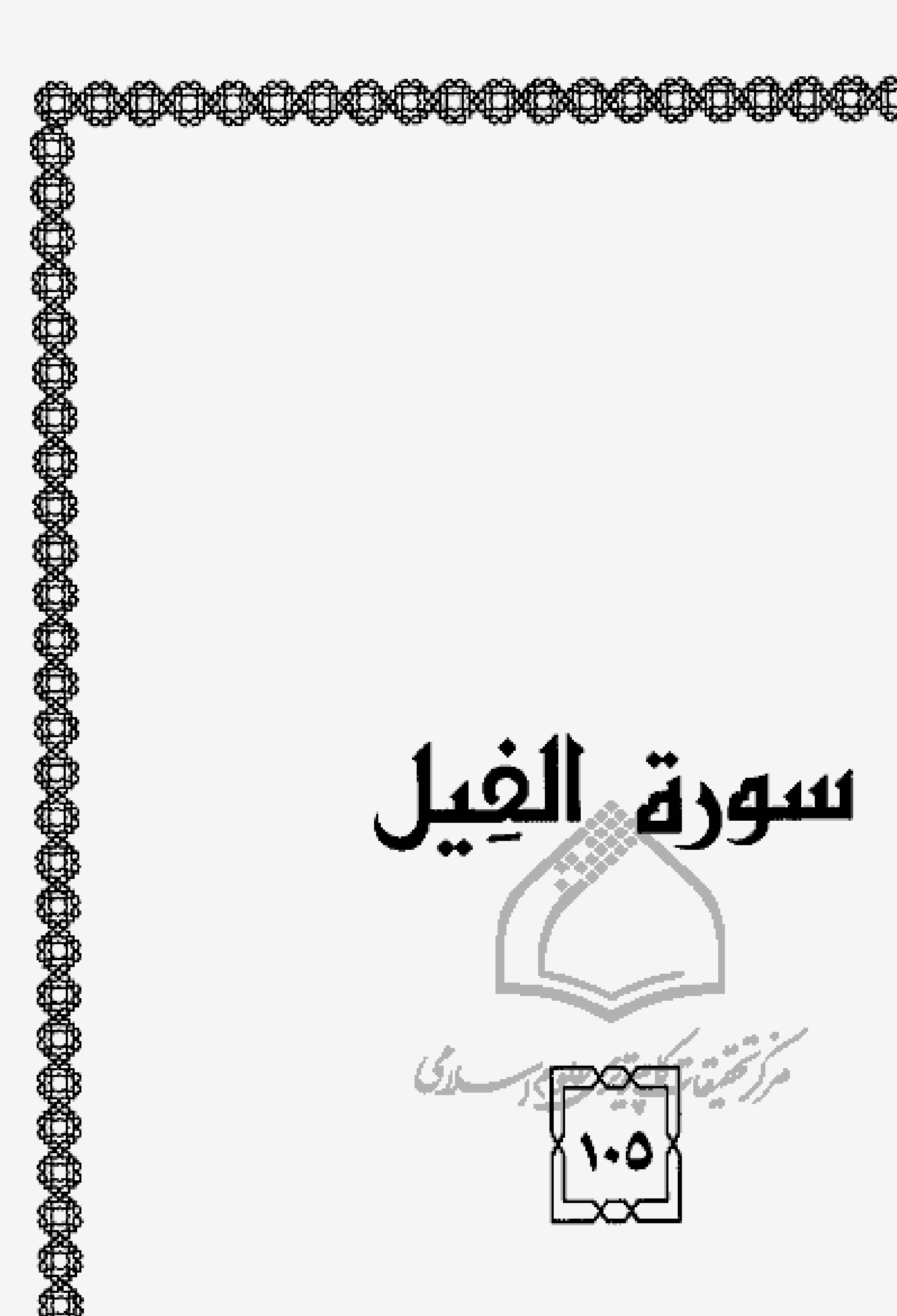
(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) من المَضَض: وجع المصيبة.

مفارقي الملّة، أو مَنْ يجري مجراهم من أهل القبلة. ويكون الاطّلاع هنا بمعنى العِلْم. كما قال تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم]. والمراد: أعَلِمَ الغيب؟ ومن ذلك قول القائل اطّلعت من فلان على معنى قبيح، أو معتقد جميل، أي علمت ذلك منه.

ومن استعارات هذه السورة الكريمة قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾﴾. والمراد مطبقة كما يطبق باب البيت على مَنْ فيه. يقال أصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته.

ومن الاستعارات، أيضاً، قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف/١٨] أي بالباب الذي يؤصد على أحد الاقوال. ومنها قوله تعالى: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾. وقرئ عُمُد بضم العين والميم، والمراد بذلك أنها مطلّة عليهم، وثابتة لهم، كما يُطل الخباء المضروب بانتصابه، ويثبت بتمديد أعماده وأطنابه؛ ويشبه ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف/٢٩] وقد تكلّمنا عليه فيما تقدّم.



سورة الفِيل

١٠٥


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «الفيل»(*)

سورة «الفيل» سورة مكية آياتها خمس آيات نزلت بعد سورة «الكافرون».

وهي سورة تشير الى قدرة الله الغالبة، وحمايته للبيت الحرام، وقد وُلد النبي (ص) عام الفيل، وكان حادث الفيل إرهاصاً بميلاده، وبياناً لعناية الله بهذا البيت.

قصّة أصحاب الفيل

بلغت معرفة العرب لحادث الفيل، وشهرته عندهم: أنهم كانوا يؤرخون به فيقولون: ولد فلانٌ عام الفيل، وحدث كذا لسنتين خَلَتا من عام الفيل، ونحو ذلك.

وجملة ما تشير إليه الروايات المتعددة: أن الحاكم الحبشي لليمن، في الفترة التي خضعت فيها اليمن لحكم الحبشة، بعد طرد الحُكم الفارسي منها، ويسمّى أبرهة الأشرم، كان قد بَنَى كنيسة في اليمن باسم ملك الحبشة، وجمع لها كل أسباب الفخامة، ليصرف بها العرب عن حج البيت الحرام، فخرج رجل من كِنانَة فقعد فيها ليلاً، وقيل أجَّجَت رفقة من العرب ناراً، فحملتها الريح فأحرقت الكنيسة، فغضب أبرهة، وأقسم لَيَهْدِمَنَّ الكعبة، فخرج من الحبشة، ومعه فيل اسمه محمود، وكان قوياً عظيماً، واثنا عشر فيلاً غيرُه؛ وسار بجيشه إلى مكّة، وانتصر على كل من قاومه من العرب، حتى وصل إلى

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

المُغَمِّس بالقرب من مكّة، ثم أرسل إلى أهل مكة يخبرهم أنه لم يأت لحربهم، وإنّما أتى لهدم البيت، ففزعوا منه، وانطلقوا إلى شَعَفِ الجبال[1] ينتظرون ما هو فاعل.

وأرسل أبرهة إلى سيّد مكّة ليقابله.

قال ابن اسحاق: «وكان عبد المطّلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، وهو يومئذ سيّد مكّة، فَقَدِمَ الى أَبْرَهة، فلمّا رآه أبرهة أجلّه وأعظمه، وأكرمه عن أن يُجْلِسه تحته، وكرِهَ أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه. فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه إلى جانبه، ثمّ قال لِترْجُمانه: قل له ما حاجتك؟ قال حاجتي: أن يرد عليَّ المَلِك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال ذلك، قال أبرهة لِترْجُمانه قُل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلّمتني، أتكلّمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلّمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا ربّ الإبل، وإنّ للبيت ربّاً سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال أنت وذاك، فردّ عليه إبله.

ثمّ انصرف عبد المطلب الى باب الكعبة فأمسك بِحَلَقِهِ، وقام معه نفر من قريش، يدعون الله ويستنصرونه.

فأما أَبْرَهة، فوجّهَ جيشه وفيله لما جاء له، فبرك الفيل دون مكة لا يدخلها. وجَهِدُوا في حمله على اقتحامها فلم يفلحوا.

ثم كان ما أراده الله من إهلاك الجيش وقائده، فأرسل عليهم جماعات من الطير، تَخْصُبُهم بحجارة من طين وحجر، فتركتهم كأوراق الشجر الجافة الممزّقة، وأصيب أَبْرَهة في جسده، وخرجوا به معهم، يسقط أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء، فما مات حتّى انشق صدره عن قلبه، كما تقول الروايات.

«وكان بين عام الفيل وبين المَبْعَث نَيِّفٌ وأربعون سنة. وكان قد بقي بمكة مَنْ شاهَدَ تلك الواقعة، وقد بلغت حد التواتر حينئذ، فما ذاك إلاّ إرهاص للرسول (ص)».

وسئل أبو سعيد الخدري عن الطير

---

(١) أي أعلاها.

فقال حمام مكة منها، وقيل جاءت عشية ثم صبّحتهم هلكى، وعن عِكْرِمة: مَنْ أصابَتْهُ أصابَهُ الجُدَرِي، وهو أول جُدَرِيٍّ ظَهَر في الأرض.

وقد ذهب الأستاذ الإمام محمد عبده الى أن الذي أهلك الجيش «هو انتشار داء الجُدَرِي والحَصْبَة بين أفراده، وقد نشأ هذا الداء من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش، بواسطة فِرَق عظيمة من الطير، ممّا يرسله الله مع الريح. فهي أشبه بالميكروبات الفتّاكة التي تعصف بالجسم».

فالأستاذ الإمام يريد أن يجعل هذه المعجزة الخارقة للعادة، أمراً مُتَّفِقاً مع المعهود في حياة الناس، فيرجع الهزيمة الى انتشار وباء الحصبة أو الجدري، حتّى يتسنّى له إقناع العقول، وفي الوقت نفسه يتخلّص مما ورد في بعض الروايات من المبالغة في وصف هذه الطير، والحجارة التي حَمَلَتْها في رجليها وفمها.

ونرى أن الأَوْلى عدم إخضاع الآيات لمألوف الناس، وما يحدث في واقع حياتهم، لأنّ الآيات تُخْبِر عن خارِقةٍ وقعت بقدرة الله القادر، الذي يقول للشيء كن فيكون.

وإذا سلّمنا أنّ الأمر قد جرى على أساس الخارقة غير المعهودة، وأنّ الله أرسل طيراً غير معهودة، فإن ذلك يكون أدعى إلى تحقيق العبرة الظاهرة، المكشوفة لجميع الأنظار، في جميع الأجيال، حتّى لَيَمُنُّ الله بها على قريش بعد البعثة، ويَضْرِبُها مثلاً على رعاية الله لحرماته، وغيرته عليها.

«فممّا يتناسق مع جو هذه الملابسات كلّها، أن يجيء الحادث غير مألوف ولا معهود، بكلّ مقوّماته وبكلّ أجزائه. ولا داعي للمحاولة في تغليب صورة المألوف من الأمر، في حادث هو في ذاته وبملابساته مفرد فذّ».

ثم إنّ إصابة الجيش بالوباء، وعدم اصابة أحد من العرب القريبين منه، أمر خارق للعادة. وما دامت المسألة خارقة، فَلِمَ العناء لِحَضرها في صورة معيّنة، مألوفة للناس. مع أن السورة تفيد أنّ أمراً خاصّاً، قد أرسله الله على أصحاب الفيل.

إنّنا لا يجوز أن نواجه النصوص القرآنية، بمقرّرات عقلية سابقة، بل ينبغي أن نواجه هذه النصوص، لنتلقّى منها مقرّراتنا الإيمانيّة، ومنها نُكَوِّن قواعد منطقنا وتصوّراتنا.

«وليس معنى هذا هو الاستسلام للخرافة، ولكن معناه أن العقل ليس وحده هو الحَكَم في مقرّرات القرآن؛ ومتى كانت المدلولات التعبيرية مستقيمة واضحة، فهي التي تقرر كيف تتلقاها عقولنا، وكيف نصوغ منها قواعد تصوّرها ومنطقها، تجاه مدلولاتها، وتجاه الحقائق الكونية الأخرى».

مع آيات السورة

[الآية ١]: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ①﴾؟ ألم تنظر أو ألم تعلم عن الحالة التي وقع عليها عمل الله الذي يتولّى أمرك، بأصحاب الفيل، الذين حاولوا هدم البيت الحرام؛ والخطاب هنا للرسول (ص)، وهو، وإن لم يشهد تلك الواقعة، لكنه شاهد آثارها، وسمع بالتواتر أخبارها، فالعلم بها مساوٍ، في قوّة الثبوت، للعلم الناشئ عن الرؤية والمشاهدة.

[الآية ٢]: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ②﴾؟ لقد دبّروا كيداً للبيت الحرام ببناء الكنيسة وصَرْفِ وجوه الحجّاج إليها، فضلّل الله كيدهم بأن أوقع الحريق فيها، وكادوه ثانياً بإرادة هدم البيت، فضلّل الله كيدهم بإرسال الطير عليهم.

ومعنى تضليل كيدهم، أي إضاعته وإبطاله، يقال: ضلّل كيده إذا جعله ضالاً ضائعاً، ومنه قولهم لامرئ القيس: الملك الضُلّيل، لأنه ضلّل ملك أبيه أي ضيّعه.

[الآية ٣]: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③﴾ أبابيل: جماعات أو طوائف على هيئة أسراب. أي أرسل الله عليهم فرقاً من الطير.

[الآية ٤]: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④﴾ السجّيل: الطين الذي تحجّر، أو الحجارة المحروقة، أي أرسل الله عليهم جنداً من جنوده، وكم لله من جنود لا يعلمها إلا هو، لقد أرسل الله على أبرهة وجنده جيشاً من الطير، أسلحتهم حجارة صغيرة في مناقيرها، ترمي الجندي بها، فَتَنْفُذ من أعلى جسمه إلى أسفله، فتنهرئ لحومهم، وتتساقط متناثرة عن أجسادهم.

[الآية ٥]: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤﴾ العصف: ورق الزرع

الذي يبقى في الأرض بعد الحِصاد، تَفُتُّه الريح وتأكله المواشي. وقال الفَرّاء: هو أطراف الزرع، وقيل: هو الحَبُّ الذي أُكِلَ لُبُّه وبقي قِشْره.

ووصف العصف بأنه مأكول، أي فتيت طحين، حين تأكله الحشرات وتمزّقه، أو حين يأكله الحيوان فيمضغه ويطحنه، وهي صورة حسّية للتمزيق بفعل هذه الأحجار التي رمتهم بها جماعات الطير.

وذهب مقاتل وقتادة وعَطَاء، عن ابن عبّاس، أن معنى «عَصْفٍ مأكول»: أي نبات أكلته الدواب وصار روثاً، الا أنه جاء على أدب القرآن، كقوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ﴾ [المائدة/ ٧٥].

أهداف السورة

١ ـ بيان قدرة الله وحمايته لبيته.

٢ ـ لفت الأنظار الى ما صَنَعَهُ بأصحاب الفيل.

٣ ـ لقد ضل كيدهم، وخاب سعيهم.

٤ ـ أرسل الله عليهم جماعات من الطيور في شكل أسراب.

٥ ـ أصابتهم الطير بحجارة مخلوطة بالطّين تحمل الهلاك والدمار.

٦ ـ انتهى الجيش الى ضياع وهزيمة مُنْكَرَة كما ينتهي الزرع المأكول إلى روثٍ مهمل ضائع.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «الفيل»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الفيل بعد سورة «الكافرون»، ونزلت سورة «الكافرون» بعد سورة الماعون، ونزلت سورة الماعون بعد سورة التّكاثر، وكان نزول سورة التكاثر فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة الفيل في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم، لإيرادها في قصة أصحاب الفيل، وتبلغ آياتها خمس آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة بيان قصة أصحاب الفيل من الحبشة مع قريش في مكّة، لتكون عظة لمن يغترّ بماله وقوّته من قريش، وبهذا تظهر المناسبة بين هذه السورة والسورة السابقة.

قصة أصحاب الفيل [١ ـ ٥]

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾، فذكر ما فعله بأصحاب الفيل حينما أقبلوا لتخريب الكعبة، مُغترّين بقوّتهم وضعف أهل الكعبة، وأنه أرسل عليهم طيراً أبابيل أي كثيرة متفرّقة يتبع بعضها بعضاً، وأنها كانت ترميهم بحجارة من سِجّيل، أي طين مطبوخ كما يطبخ الآجُرّ، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.



أسرار ترتيب سورة «الفيل»(*)

ظهر لي في وجه اتّصالها: أنه تعالى لما ذكر حال الهُمَزة اللُّمَزَة، الذي جمع مالاً وعدَّده؛ وتعزّز بماله وتَقَوَّى، عَقَّبَ ذلك بذكر قصّة أصحاب الفيل، الذين كانوا أشدّ منهم قوة، وأكثر أموالاً وعتُوّاً، وقد جعل كيدهم في تضليل، وأهلكهم بأصغر الطير وأضعفه، وجعلهم كعصف مأكول، ولَمْ يُغْنِ عنهم مالهم ولا عِزُّهم ولا شَوْكَتُهم، ولا فِيلُهم شيئاً.

فمن كان تعزُّزه وتَقَوِّيه بالمال وحْدَه، وهَمَزَ الناس بلسانه، يكون أقربَ إلى الهلاك، وأدنى إلى الذِّلَّةِ والمَهانة.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

مكنونات سورة «الفيل»(*)

١ ـ ﴿بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١﴾.

قال سعيد بن جُبَير: هو أبو الكَيْسوم. أخرجه ابنُ أبي حاتم.

وأخرج ابنُ جرير عن قَتادة: أنّ قائد الجيش اسمه أبْرَهَةُ الأشرم من الحبشة.

٢ - ﴿طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾.

أخرج ابنُ أبي حاتم عن مُجاهد وعكرمة وغيرهما: أنها العَنْقَاء.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِمات الأقران في مُبْهَمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.



لغة التنزيل في سورة «الفيل»(*)

١ ـ قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾.

الطير من أسماء الجمع، وهو مفرد في اللفظ. وقد وصف بـ «أَبابيل» وهو جَمْعَ إبالة، وهي الحُزمة الكبيرة. وشبِّهت جماعات الطير بالأبابيل لِتَضَامُها. وقيل: أبابيل مثل عبابيد وشماطيط لا واحدَ لها.

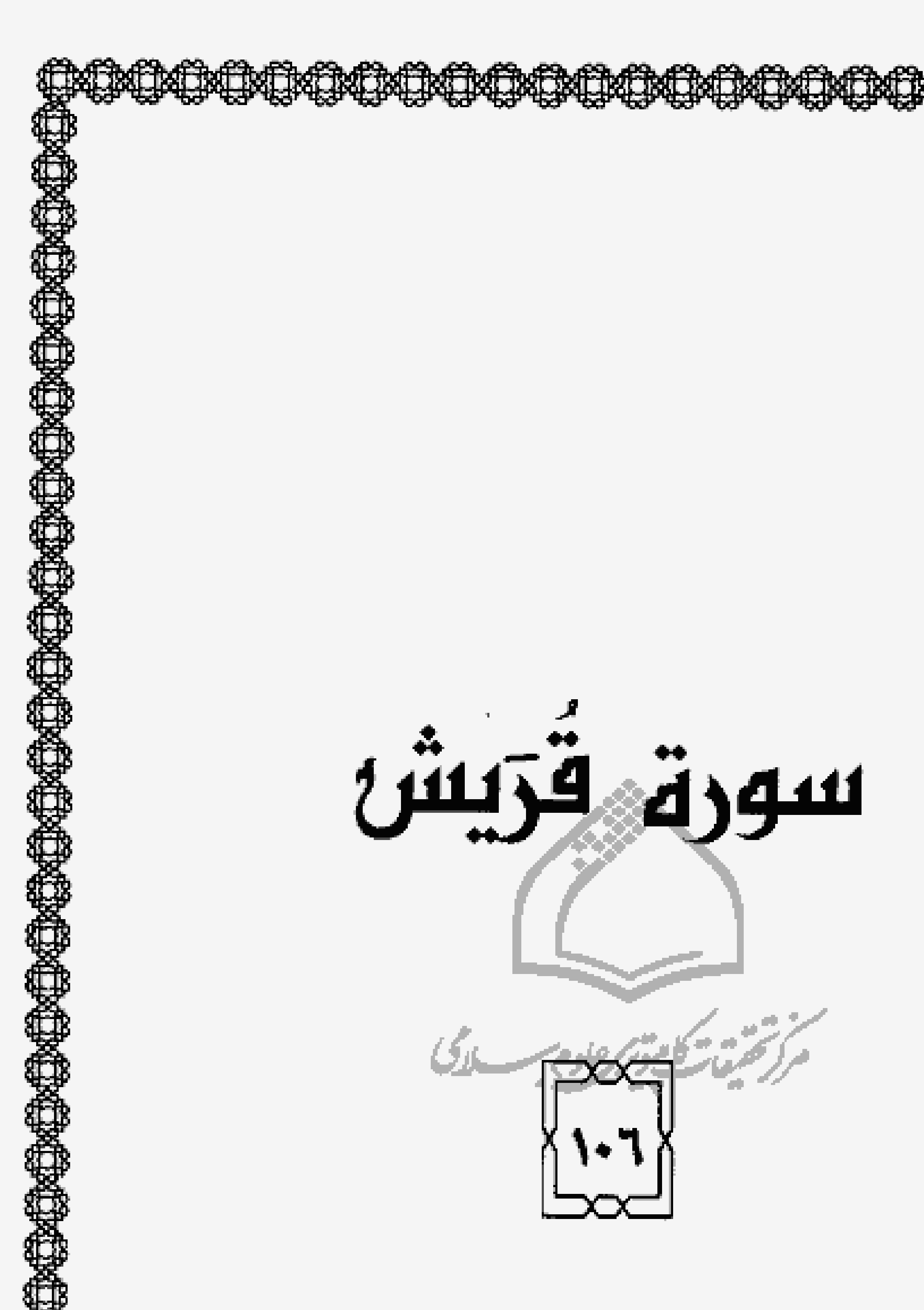
(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.

لكل سؤال جواب في سورة «الفيل»(*)

إن قيل: ما معنى «الأبابيل»، وهل هو واحد أَمْ جمع؟ قلنا: معناها: جماعات في تفرقة أي حلقة حلقة، وقيل: التي يَتْبَع بعضُها بعضاً. وقيل: الكثيرة. وقيل: المختلفة الألوان. وقال الفرّاء وأبو عبيدة: لاواحدَ لها. وقيل واحدُها أبال وأبيل.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سورة قُرَيش

١٠٦


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

أهداف سورة «قريش»(*)

سورة «قريش» سورة مكّيَة، آياتها أربع آيات، نزلت بعد سورة «التين».

وهي امتداد لسورة الفيل، فقد حفظ الله هذا البيت من كيد المعتدين «وكان لحادث الفيل أثر مضاعف، في زيادة حرمة البيت عند العرب في أنحاء الجزيرة جميعها، وزيادة مكانة أهله وسدنته من قريش، مما ساعدهم على أن يسيروا في الأرض آمنين: حيثما حلّوا، وجدوا الكرامة والرعاية. وشجّعهم ذلك على إنشاء خطّين عظيمين من خطوط التجارة، عن طريق القوافل، إلى اليمن في الجنوب، وإلى الشام في الشمال، وإلى تنظيم رحلتين تجاريتين ضخمتين: إحداهما إلى اليمن في الشتاء، والثانية إلى الشام في الصيف».

وكانت حالة الأمن مضطربة في شعاب الجزيرة، يفتخر الناس فيها بالصعلكة والسلب والإغارة والنهب، ويعتدون على قوافل التجارة؛ إلاّ أنّ حرمة البيت في أنحاء الجزيرة قد كفلت لجيرانه الأمن والسلامة، وجعلت لقريش منزلة ظاهرة بين العرب، وفتحت أمامها أبواب الرزق الواسع المكفول في أمان وسلامة وطمأنينة، وألفت نفوسهم هاتين الرحلتين الآمنتين الرابحتين، فصارتا لهم عادة وإلفاً. وقد امتنّ الله على قريش بحادثة الفيل وحماية البيت، وامتن عليهم بالأمان والحماية لهم، وسعة الرزق ورغد العيش من ربح التجارة، وبلادهم قفرة، وهم طاعمون هانئون من فضل الله.

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

مع آيات السورة

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾.

المفردات

لإيلاف قريش: إِلافُ الشيء وإِلْفُه لزومه والعكوف عليه، وقريش اسم للقبائل العربية من ولد النَّضر بن كِنانة، وأصل الكلمة تصغير للقِرْش، وهو نوع من السمك مشهور، ويمتاز بقوّته على سائر الأسماك، كما امتازت قريش على سائر القبائل لخدمة البيت الحرام.

رحلة الشتاء: كانت إلى اليمن.

والصيف: أي ورحلة الصيف وكانت إلى الشام يتاجرون فيها ويمتارون.

المعنى:

ألفت قريش واعتادت، أن ترحل إلى ما جاورها من البلاد، سعياً وراء الرزق، وجلباً لمعايشهم، وترويجاً لتجارتهم.

والله سبحانه يمتنّ عليهم بذلك، ويقول لهم: من أجل إيلاف قريش رِحْلةَ الشتاء والصيف، فليعبدوا ربَّ هذا البيت، الذي كفل لهم الأمن فجعل نفوسهم تألف الرحلة، وتنال من ورائها ما تنال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ وأنقذهم من المجاعات التي تنزل بهم وبأمثالهم من سكان البراري، ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ العدو، أو كوارث الحياة. وكان الأصل بحسب ما هم فيه من ضعف، وبحسب حالة البيئة، من حولهم، أن يكونوا في خوف، فآمنهم من هذا الخوف.

فليشكر قومك يا محمد ربّهم على هذه النعم، وليؤمنوا بربوبيّته، وليقرّوا بعبوديّتهم، وليعبدوه بما هو أهل له من العبادة.

وقريب من هذه السورة قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص].

أهداف السورة

١ ـ من نِعَم الله على قريش أن منحهم الهيبة والأمان، فألِفُوا رحلة الشتاء والصيف.

٢ ـ من الواجب أن يعترفوا بفضل الله عليهم في حماية بيته، وحماية تجارتهم.

٣ ـ يجب عليهم أن يعبدوا ربّهم وأن يستجيبوا لدعوة النبيّ الكريم، فإنّه رسول رب العالمين.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «قريش»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة قريش بعد سورة التين، ونزلت سورة التين فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة قريش في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ وتبلغ آياتها أربع آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة الامتنان على قريش برحلة الشتاء والصيف للتجارة، وقد جعلوا ممّا جمعوا بها من المال سبب بطر، فلم يقوموا لله بحقه عليهم فيها، وبهذا يتصل سياق هذه السورة بسياق ما قبلها من السور، وتظهر المناسبة في ذكرها بعد سورة الفيل، فضلاً عن أنها تتعلّق بقريش أيضاً.

الامتنان على قريش برحلة الشتاء والصيف
الآيات [١ ـ ٤]

قال الله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾، فامتنّ عليهم بإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، وكانت رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام؛ ثمّ أمرهم أن يعبدوا ربَّ هذا البيت أي الكعبة: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.



المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «قريش»(*)

هي شديدة الاتصال بما قبلها، لتعلّق الجار والمجرور في أوّلها بالفعل في آخر تلك[1].



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) نقله السيوطي عن السخاوي في كتاب جمال القراء عن جعفر الصادق، وأبي نهيك. وقال: وأخرج الحاكم والطَّبَراني من حديث أم هانئ أن رسول الله (ص) قال: فضل الله قريشاً بسبع.. وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١﴾. ومع ذلك فصلة قريش بالفيل قائمة. فكأن ما فعل الله بأصحاب الفيل لإيلاف قريش، ولتأمين طريق تجارتهم في رحلتي الشتاء والصيف. وقد كان من أهداف أبرهة السياسية حرمان قريش من تجارتهم هذه.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الرابع

مكنونات سورة «قريش»(*)

١ ـ ﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾ [الآية ٢].

إلى اليمن.

٢ ـ ﴿وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾.

إلى الشام[١].



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهَمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) انظر تفسير الطبري ١٩٩/٣٠ وتفسير ابن كثير ٥٥٣/٤.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «قريش»(*)

١ ـ قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾.

والمعنى: لِتؤالِفَ قُرَيشٌ الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا.

واللام متصلة بالسورة التي قبلها، أي: أهلك الله أصحاب الفيل، لِتؤالِفَ قريش رحلتيها بأمان.

أقول: والإيلاف بهذه الخصوصية من الكلم الخاص ذات الفائدة التاريخية، لصلتها بأحداث خاصّة في حقبة معينة.



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «قريش»(*)

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ①﴾ أي: فَعَلَ ذَلكَ لإيلاف(1) قُرَيْشٍ [أي] لتآلف(2)، ثم أبدل فقال: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ②﴾.



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(1) كلامه مبني على الرأي القائل بكون السورتين متصلتين؛ انظر معاني القرآن ٣/ ٢٩٣، والجامع ٢٠/ ٢٠٠، وقد نقله في المشكل ٢/ ٨٤٥، والبحر ٨/ ٥١٣، وإعراب القرآن ٣/ ٥٤٠.

(2) هي في الجامع ٢٠/ ٢٠٠ لتأتلف. وهي أوضح مفادا من «لتآلف».



لكل سؤال جواب في سورة «قريش»(*)

إن قيل: بأي شيء تتعلق اللام في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾؟

قلنا: قيل إنها متعلّقة بآخر السورة التي قبلها: أي فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش؛ والمعنى أنه أهلك أصحاب الفيل الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيهابوهم ويحترموهم، فينتظم لهم الأمر في رحلتهم ولا يجترئ أحد عليهم. وقيل معناه أهلكهم لتألَفَ قريش رحلة الشتاء والصيف بهلاك من كان يخيفهم ويمنعهم. وقيل إنها متعلقة بما بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، معناه أنّ نِعَم الله تعالى عليهم لا تُحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمهِ فليعبدوه لهذه النعمة الظاهرة. وقيل هي لام التعجب معناه أعجبوا لإيلاف قريش وذلك نظير اللاّم التي ابتدأ بها أبو العلاء المعري بيتاً من اللزوميات وعلّقها بمقدَّر. يقول في هذا البيت:

لِأمواهِ الشبيبة كيف غِضْنَهْ
وروضاتِ الصّبا في اليَبْسِ إضْنَهْ

أي: أعجبُ لأمواه الشبيبة...

وكانت لقريش في كل سنة رحلتان للتجارة التي بها معاشهم، رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام. ثم قيل الإيلاف هنا مصدر بمعنى الإلف، تقول: آلفته إيلافاً بالمد، كما تقول: ألِفته إلْفاً بالقصر

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.

كلاهما متعدٍّ إلى مفعول واحد، فيكون لإيلاف قريش لإلْف قريش: أي لحبّهم الرحلتين. وقيل آلف بالمد متعدٍّ إلى مفعولين، يقال أَلِف زيد المكان وآلَف زيد عَمْراً المكان، فيكون معنى الآية لإيلاف الله تعالى قريشاً الرحلتين؛ فعلى هذا الوجه يكون المصدر مضافاً إلى المفعول، وعلى الوجه الأول يكون مضافاً إلى الفاعل. وأما تكرار إضافة المصدر في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ فقيل إنّ الثاني بدل من الأول. وقيل إنه للتأكيد كما تقول: أعطيتك المال لصيانة وجهك، صيانته عن ذل السؤال.



سورة الماعون

١٠٧



المبحث الأول

أهداف سورة «الماعون»(*)

سورة «الماعون» سورة مكّيّة بآياتها الثلاث الأولى، ومدنية بالآيات الأُخر، وهي أربع آيات نزلت بعد سورة «التكاثر».

وهي سورة ذات معنى أصيل في الشريعة، تعالج حقيقة ضخمة مضمونها: أنّ هذا الدين ليس مظاهر وطقوساً، ولكنه عقيدة صادقة، ويقين ثابت، وإخلاص لله. ويتمثل هذا اليقين بسلوك نافع، وحياة مستقيمة. كما أن هذا الدين ليس أجزاء وتفاريق موزّعة منفصلة، وإنما هو منهج متكامل، تتعاون عباداته وشعائره في تحقيق الخير للفرد والجماعة.

مفردات السورة

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾: الخطاب موجّه للنبيّ ابتداء، والمراد بالدّين الحساب والجزاء.

﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾: يظلمه ويمنعه حقّه، أو يزجره وينهره لو قصده لعون أو مساعدة.

﴿يَحُضُّ﴾: الحضّ هو الحثّ على الشيء والترغيب فيه بشدّة.

﴿فَوَيْلٌ﴾: الويل الهلاك والعذاب، وقيل اسم لوادٍ في جهنّم شديد العذاب.

﴿ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾: المراد بالماعون الزكاة، ومن معانيه المعروف والماء، وكل ما ينتفع به، أو كل مستعار بين

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

الجيران من فأس وقِدْر ودلو، ونحو ذلك.

مع آيات السورة

[الآيـــة ١]: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ①﴾ أي هل عرفت ذلك الذي يكذّب بما وراء إدراكه من الأمور الإلهية، والشؤون الغيبية؛ بعد أن ظهر له الدليل القاطع، والبرهان الساطع.

قال ابن جريج: نزلت في أبي سفيان، كان ينحر جزورين في كل أسبوع، فأتاه يتيم فسأله لحماً فقرعه بعصاه، وقال مقاتل: نزلت في العاص بن وائل السهمي، وكان من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيامة، والإتيان بالأفعال القبيحة. وعن السُدّي: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل: في أبي جهل. وحكى الماوردي: أنه كان وصيّاً ليتيم فجاءه وهو عُرْيان، يسأله شيئاً من مال نفسه، فدفعه ولم يعبأ به، فَأَيِسَ الصبي. فقال له أكابر قريش استهزاء: قل لمحمّد يشفع لك، فجاء الى النبي (ص) والتمس منه الشفاعة، وكان النبي (ص) لا يردّ محتاجاً، فذهب معه الى أبي جهل، فقام أبو جهل ورحّب به وبذل المال لليتيم، فعيّرته قريش وقالوا له صبأت. فقال لا والله ما صبأت، ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة، خفت، إن لم أُجِبْه، أن يطعنها فِيّ. وقال كثير من المفسّرين: إنه عامّ لكلّ من كان مكذّباً بيوم الدين.

[الآيـــة ٢]: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ②﴾، أي فذلك المكذّب بالدِّين هو الذي يَدُعُّ اليتيم، ويزجره زجراً عنيفاً، لقد خلا قلبه من الرحمة، وامتلأ بالكِبْرِ والغطرسة، ولذلك أهان اليتيم وآذاه، واليُتْم مظهر من مظاهر الضعف، فقد فَقَدَ الأب الذي يحميه، والعائل الذي يحنو عليه، ومن واجب المجتمع أن يتعاون على إكرامه، والأخذ بيده حتى ينشأ عزيزاً كريماً. إن كل فرد معرّض لأن يفاجئه الموت وأن يترك أولاده يتامى، فليعامل اليتيم بما يحب أن يعامل به أولاده لو كانوا يتامى. قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ⑨﴾ [النساء].

وقد تكرّرت وصايا القرآن برعاية اليتيم، والمحافظة على ماله، والتحذير من تضييع حقّه، ورد ذلك في السور

المكّية والسور المدنيّة. ففي هذه الآيات، وفي سورة الضحى، وهي من أوائل مانزل من القرآن، وصيّة باليتيم. وفي صدر سورة النساء المدنيّة تفصيل وافٍ لرعاية اليتيم، بدأ بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾.

وقد وردت عدّة وصايا باليتيم في الآية السادسة، والعاشرة، والسادسة والعشرين من سورة النساء. كما تكررت الوصيّة باليتيم في آيات القرآن، وأحاديث النبي (ص). فقال عليه الصلاة والسلام: «خير بيوت المسلمين بيت فيه يتيم يُحْسَن إليه، وشر بيوت المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه».

[الآيـــة ٣]: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ أي ولا يحث غيره على إطعام المسكين، قال الإمام محمد عبده: «وهو كناية عن الذي لا يجود بشيء من ماله على الفقير، المحتاج إلى القوت الذي لا يستطيع كسباً».

وليس المسكين هو الذي يطلب منك أن تعطيه وهو قادر على قوت يومه، بل هذا هو الملحف الذي يجوز الإعراض عنه، وتأديبه بمنعه ما يطلب، وإنما جاء بالكناية ليفيدك أنه إذا عرضت حاجة المسكين، ولم تجد ما تعطيه، فعليك أن تطلب من الناس أن يعطوه، وفيه حثّ للمصدّقين بالدين على إغاثة الفقراء ولو بجمع المال من غيرهم، وهي طريقة الجمعيات الخيرية، فأصلها ثابت في الكتاب بهذه الآية، وبنحو قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾. ونعم الطريقة هي لإغاثة الفقراء، وسد شيء من حاجات المساكين.

«إن حقيقة التصديق بالدين ليست كلمة تقال باللسان، وإنما هي تحوّل في القلب، يدفعه الى الخير والبر بإخوانه في البشرية، المحتاجين إلى الرعاية والحماية، والله لا يريد من الناس كلمات، إنّما يريد منهم معها أعمالاً تصدقها، وإلا فهي هباء، لا وزن لها عنده ولا اعتبار. وليس أصرح من هذه الآيات الثلاث، في تقرير هذه الحقيقة، التي تمثّل روح هذه العقيدة، وطبيعة هذا الدين أصدق تمثيل».

[الآيـــتـــان ٤ ـ ٥]: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ أي إذا عرفت أن المكذب

بالدين هو الذي أقفر قلبه من الرحمة، وأجدب من العدل والمكرمة، «فويل لأولئك الذين يصلّون، ويؤدّون ما يسمى صلاة في عرفهم من الأقوال والأفعال، وهم مع ذلك ساهون عن صلاتهم، أي غافلة قلوبهم عمّا يقولون وما يفعلون، فهو يركع في ذهول عن ركوعه، ويسجد في لهو عن سجوده». وإنما هي حركات اعتادها، وأدعية حفظها، ولكنّ قلبه لا يعيش معها، ولا يعيش بها، وروحه لا تستحضر حقيقة الصلاة، وحقيقة ما فيها.

[الآية ٦]: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦﴾ أي يفعلون ما يُرى للناس فقط، ولا يستشعرون من روح العبادة ما أوجب الله على النفوس أن تستشعره.

«إنّهم يصلّون رياءً للنّاس لا إخلاصاً لله، هم ساهون عن صلاتهم وهم يؤدّونها، ساهون عنها لم يقيموها، والمطلوب هو إقامة الصلاة لا مجرد أدائها، وإقامتها لا تكون إلاّ باستحضار حقيقتها، والقيام لله وحده بها».

[الآية ٧]: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾ أي يمنعون المساعدة عن المستحقّ لها، أو يمنعون ما اعتاد الناس قضاءه وتداوله فيما بينهم، تعاوناً وتآزراً، ولا يمنعه إلا كلّ شحيح يكره الخير.

«إنّهم يمنعون المعونة والبر والخير عن إخوانهم في البشريّة، يمنعون الماعون عن عباد الله، ولو كانوا يقيمون الصلاة حقّاً لله، ما منعوا العون عن عباده، فهذا هو محك العبادة الصادقة المقبولة عند الله».

«وأكثر المفسّرين على أنّ الماعون اسم جامع لما لا يُمْنَع في العادة، ويسأله الفقير والغني في أغلب الأحوال، ولا يُنسب سائله إلى لؤم، بل ينسب مانعه إلى اللؤم والبخل، كالفأس والقِدْر والدلو والغربال والقدّوم، ويدخل فيه الماء والملح والنار، لِما روي: ثلاثة لا يحل منعها: الماء والنار والملح.

وقد تسمّى الزّكاة ماعوناً، لأنه بسببها يؤخذ من المال رُبعُ العشر، وهو قليل من كثير. قال العلماء: ومن الفضائل أن يستكثر الرجل في منزله ممّا يحتاج إليه الجيران، فيعيرهم ذلك، ولا يقتصر على قدر الضرورة، وقد يكون منع هذه الأشياء محظوراً في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار».

إن الشرائع السماوية إنّما أُنزلت

لتهذيب الضمير، ونقاء القلوب، وصفاء النفوس، وتقويم السلوك، وبذلك تسمو الحياة، ويسود الحب والتآلف، والإخاء والتكافل الجميل.

أهداف السورة

١ ـ الدين ليس رسوماً وطقوساً، ولكنه عقيدة صادقة وسلوك مستقيم.

٢ ـ الدين الحق صلاة خاشعة، ورعاية لليتيم، وحماية للمسكين، ومساعدة للمحتاجين.

٣ ـ المكذِّب بالدين له سمات وصفات هي: إذلاله لليتيم، عدم رحمة المسكين، الانشغال عن الصلاة، الرياء والنفاق، منع العون والمعونة عن المحتاج إليها.





ترابط الآيات في سورة «الماعون»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الماعون بعد سورة التكاثر، ونزلت سورة التكاثر فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة الماعون في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في آخرها: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾. والماعون هو الزكاة. وقيل العارية، وقيل ما لا يحلّ منعه مثل الماء والملح والنار وأشباه ذلك، وتبلغ آياتها سبع آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة ذم البخل بالمال، وبيان أنه لا فائدة معه في الصلاة، وبهذا تشبه هذه السورة ما قبلها من السور في سياقها، وهذا هو وجه ذكرها بعد سورة قريش.

ذم البخل بالمال
الآيات [١ ـ ٧]

قال الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾، فسأل بهذا عن الذي يكذّب بالدِّين، وأجاب بأنه الذي يَدُعّ اليتيم أي يدفعه بعنف وجفوة عن حقّه، أو يترك مواساته، ولا يحضّ على طعام المسكين، ثمّ هدد من يصلّي مع هذا الإثم، وذكر أنهم بصلاتهم يُراءُون ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أسرار ترتيب سورة «الماعون»(*)

أقول لما ذكر تعالى في سورة قريش: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [الآية ٤]. ذكر هنا ذمّ من لم يَحُضّ على طعام المسكين.

ولما قال هناك: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③﴾ [قريش]، ذكر هنا من سَهَا عن صلاته[1].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) أقول: إن السورة بكاملها تسير مع الخط الذي يبدأ من سورة الزلزلة كما قلنا. فهي ترشد إلى الطريق لاستعمال المال، وبذله في عون اليتامى، وإطعام المساكين، وذلك من طريق التحذير من أهمال هذا الطريق، وتسمية مانع العون مكذّباً بالدِّين.



مكنونات سورة «الماعون»(*)

١ ـ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ①﴾.

الجزاء والحساب، أي: هل عرفته.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهَمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.



المعاني اللغوية في سورة «الماعون»(*)

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي﴾ [الآية ١] تقرأ بالهمز وغير الهمز[1] وهما لغتان، تحذف الهمزة لكثرة استعمال هذه الكلمة.

وقال: ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ (٢) أي: «يدفعه عن حقه» تقول: «دَعَعْتُه» «أَدُعُّه» «دَعّاً».

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) هي قراءة الكسائي كما في المشكل ٢/٨٤٧، وإعراب ابن خالويه ٢٠١.



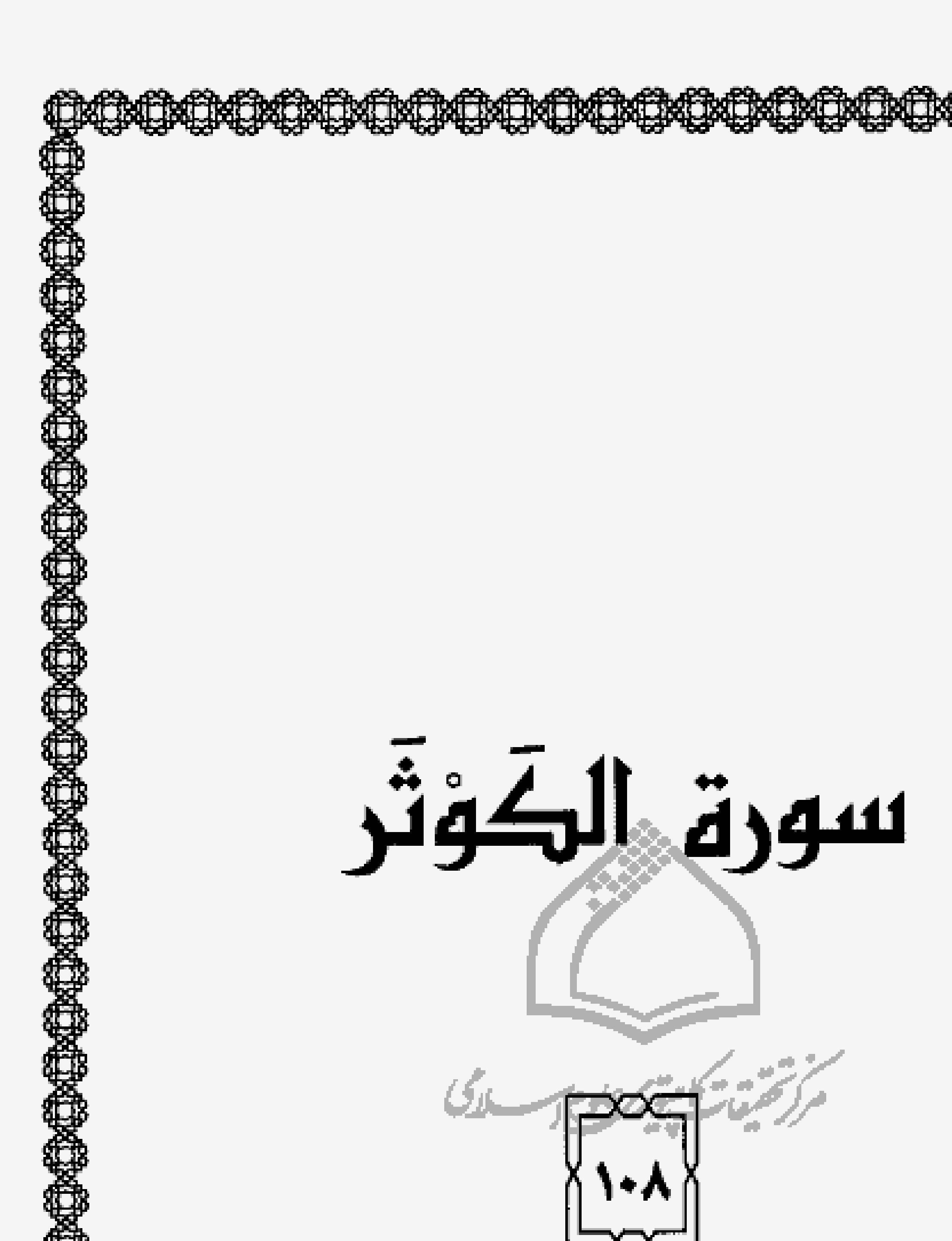
لكل سؤال جواب في سورة «الماعون»(*)

إن قيل: لِمَ تَوَعَّد الله الساهي عن الصلاة، والحديث ينفي مؤاخذته، وهو قوله (ص) «رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان»؟

قلنا: المراد بالسهو هنا التغافل عنها، والتكاسل في أدائها، وقلّة الالتفات إليها؛ وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشياطين من المسلمين؛ وليس المراد ما يتفق فيها من السهو بوسوسة الشيطان أو حديث النفس ممّا لا صنع للعبد فيه ولا اختيار، وهو المراد في الحديث. وكان النبي (ص) يقع له السهو في صلاته فضلاً عن غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ [الآية ٥] ولم يقل في صلاتهم، وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سورة الكَوْثَر

١٠٨


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «الكوثر»(*)

سورة «الكوثر» سورة مكّيّة، آياتها ثلاث، نزلت بعد سورة «العاديات».

وهي سورة خالصة لرسول الله (ص)، فقد كان أعداؤه يملكون المال والجاه والسلطان، ويعيّرونه بأنّ أتباعه من الفقراء، وكانوا يرون أن أبناءه الذكور يموتون صغاراً، فيعيّرونه بأنه أبتر، لا عقب له من الذكور، وكانت هذه الأقاويل تلقى من يستمع إليها ويردّدها، في بيئة تئد البنات، وتحتكم إلى السيف والقوّة، وترى الفقر سُبّة ومنقصة، فنزلت هذه السورة تدافع عن النبي الكريم، وتفيد أن الله أعطاه من الخير الكثير، لقد أعطاه الله النبوّة والهدى، وأيّده بالصحابة الأوفياء، وجعل سيرته عطرة منتشرة، وشريعته باقية خالدة، وآلاف الملايين تردد ذكره، وتشهد له بالرسالة:

وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ إلى اسْمِهِ
إذا قال في الخمس المؤذّنُ أشهدُ

وشقَّ له من إسْمِهِ لِيُجِلَّهُ
فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمّدُ

المفردات

﴿ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾: الخير الكثير.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: فاعبد ربك الذي أعزك وشرفك.

﴿وَٱنۡحَرۡ ٢﴾: لوجهه وباسمه اذا نحرت، مخالفاً لعبدة الأوثان.

﴿شَانِئَكَ﴾: مبغضك.

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

﴿ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾: المنقطع من كل خير.

مع آيات السورة

[الآيـة ١]: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾، والكوثر صيغة مبالغة من الكثرة، ومعناه الشيء البالغ من الكثرة حدّ الإفراط. وهو مطلق غير محدود.

ورد أن سفهاء قريش، ممّن كانوا يتابعون الرسول (ص) ودعوته بالكيد والمكر، وإظهار السخرية والاستهزاء، من أمثال العاص بن وائل، وعقبة بن أبي مُعَيْط، وأبي لهب، وأبي جهل وغيرهم، كانوا يقولون عن النبي (ص) أنه أبتر، يشيرون بهذا إلى موت الذكور من أولاده، وقال أحدهم: دعوه فإنه سيموت بلا عَقِب، وينتهي أمره.

فنزلت هذه السورة لتشير الى عطاء الله للنبيّ الكريم، وهو عطاء كثير لا حدّ له.

وقد وردت روايات من طرق كثيرة، تفيد أن الكوثر نهر في الجنة، أوتيه رسول الله (ص).

«وأخرج البخاري وابن جرير والحاكم وابن عساكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس(رض) أنه قال: «الكوثر الخير الذي أعطاه الله تعالى إيّاه». قال أبو بشر، قلت لسعيد: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، قال: النهر الذي في الجنة، من الخير الذي أعطاه الله عز وجل إيّاه، عليه الصلاة والسلام؛ ويروى هذا الجواب عن ابن عباس نفسه أيضاً».

وفي تفسير النيسابوري أنه وردت عدة أقوال في معنى الكوثر، القول الأول: الخير الكثير، إلاّ أن أكثر المفسّرين خصّوه فحملوه على أنه نهر في الجنة.

القول الثاني: أنّ الكوثر أولاده من نسل فاطمة، أي أن الله يعطيه منها نسلاً يبقون إلى آخر الزمان.

القول الثالث: الكوثر علماء أمته فهم رحمة إلى يوم القيامة.

ورُوِي أن الكوثر هو النبوّة والرسالة، وكونه خاتم المرسلين.

كما روي أنّ الكوثر هو تيسير القرآن وتخفيف الشرائع، وقيل هو الإسلام، وقيل هو التوحيد، وقيل هو العلم والحكمة، وقيل هو الفضائل الكثيرة التي وهبه الله تعالى إيّاها.

«فقد أسرى به ليلاً، وانشق له

القمر، وكثر الزاد ببركة دعائه، وأطعم الخلق الكثير من الطعام القليل، وأعطاه الله القرآن هُدًى ورحمة للعالمين».

[الآية ٢]: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ أي فاجعل صلاتك لربك وحده، وانحر ذبيحتك ذاكراً اسم الله، مخلصاً لله في صلاتك ونحرك. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

«والأكثرون على أن المقصود بالصلاة هنا جنس الصلاة، لإطلاق اللفظ، وقال الآخرون إنها صلاة عيد الأضحى، لاقترانها بقوله تعالى ﴿وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾؛ وكانوا يقدمون الأضحية على الصلاة فأمروا بتأخيرها عنها، والواو تفيد الترتيب استحساناً وأدباً وان لم تفده قطعاً».

[الآية ٣]: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ أي أن مبغضك كائناً من كان، هو المقطوع ذكره من خير الدنيا والآخرة.

إنّهم لم يبغضوه لشخصه فقد كان الصادق الأمين، ولكنهم أبغضوه لما يحمله لهم من الرسالة والهدى، فآثروا أهواءهم، وتخبّطوا في ضلالهم، حتى خذلهم الله وقطع أثرهم؛ «فقد جزهم الخذلان الى غاية الخُسْران، ولم يبق لهم إلاّ سوء الذكر لبعضهم، والنسيان التام لبقيتهم، بخلاف النبي (ص)، ومن اهتدى بهديه، فإن ذكرهم لا يزال رفيعاً، وأثرهم لا يزال باقياً في نفوس الصالحين».

مقصود الصورة

١ ـ أعطى الله محمداً (ص) الخير الكثير، فرفع ذِكْرَه وأعلى شأنه، ونصر دعوته، وبارك في أمّته.

٢ ـ ينبغي إخلاص الصلاة والعبادة والنحر لله سبحانه وتعالى.

٣ ـ من أبغض النبي ودعوته انقطع أثره وباء بالخذلان، بينما بقي ذكر النبي (ص) ودعوته على مرّ الأزمان.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «الكوثر»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الكوثر بعد سورة العاديات، ونزلت سورة العاديات فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة الكوثر في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ وتبلغ آياتها ثلاث آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تفضيل أمر الدّين على المال والولد، وقد فضّل في هذه السورة ما أُعطيه النبي (ص) من ذلك، على المال والولد، الذي كانت تتفاخر قريش به وتحرص عليه، ولهذا أمره بعد الامتنان عليه بذلك بالصلاة شكراً عليه، وببذل المال الذي أعطي أفضَلَ منه، فالمناسبة بين هذه السورة وسورة قريش ما بينهما من هذه المقابلة، وقد ذكرت بينهما سورة الماعون للمناسبة السابقة.

تفضيل الدين على المال والولد الآيات [١ ـ ٣]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ فامتنّ على النبي (ص) بأنه أعطاه الكوثر، وهو الدِّين الكثير النفع، ثمّ أمره أن يصلّي له شكراً عليه وينحر للفقراء، حتى لا يكون مثل من

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

يصلي ويمنع الماعون في السورة السابقة، ثم ختم السورة ببيان أن ما أعطيه من ذلك يخلد له من الذّكر ما لا يخلده المال والولد الذي كانت قريش تقول عن النبي إنه أبتر بسببه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.



أسرار ترتيب سورة «الكوثر»(*)

قال الإمام فخر الدين: هي كالمقابلة قبلها، لأن السابقة وصف الله سبحانه فيها المنافقين بأربعة أمور: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة. وذكر في هذه السورة في مقابلة البخل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ أي: الخير الكثير. وفي مقابلة ترك الصلاة: ﴿فَصَلِّ﴾ أي دُم عليها. وفي مقابلة الرياء: ﴿لِرَبِّكَ﴾. أي: لرضاه، لا للناس. وفي مقابلة منع الماعون: ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ وأراد به: التّصدّق بلحوم الأضاحي. قال فاعتبر هذه المناسبة العجيبة.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.



مكنونات سورة «الكوثر»(*)

فُسِّرَ:

١ - ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾.

في الأحاديث الصحيحة المتواترة بأنّه نَهر في الجنة[1].

٢ - ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾.

قال ابن عبّاس: هو أبو جَهل.

وقَال عَطاء: هو أبو لهب.

وقال عِكْرِمة: العاصي بن وائل.

وفي رواية عن ابن عبّاس: كعب بن الأشرف.

وقال شِمْر بنُ عطية: عُقْبَة بن أبي مُعَيط. أخرج ذلك ابن أبي حاتم.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهَمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) روى مسلم (٤٠٠) في الصلاة، وأحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله (ص) ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفَى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسّماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ثم قال: «أتدرون ما الكوثر» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنّه نهر وعدَنيه ربّي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: «رب، إنّه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك».

انظر في شرح أحاديث الكوثر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر ٨/٧٣١، و«شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد» للسفّاريني ١/٥٣٣ و ٢/٢٥٦.



المعاني اللغوية في سورة «الكوثر»(*)

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ تقول: «شَنِئْتُه» فـ «أنا أشنؤُهُ شَنَآنا».

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «الكوثر»(*)

إن قيل: ما الكوثر؟

قلنا: فيه قولان: أحدهما، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، أنه الخير الكثير: «فَوْعَل» من الكثرة كقولهم: رجل نَوْفل: أي كثير النوافل، ومنه قول الشاعر:

وأنت كَثِيرٌ يا ابنَ مَرْوانَ طَيِّبٌ
وكانَ أبُوكَ ابنَ العَقائِلِ كَوْثَرَا

قيل لأعرابية رجع ابنها من سفر: كيف آب ابنك؟ قالت آب بكوثر. ولقد أعطِي النبي (ص) خيراً كثيراً، فإنه أوتي الحكمة، ومن يُؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً. ومنهم من فسّر هذا الخير الكثير بالنبوّة، ومنهم من فسّره بالعلم والحكمة، ومنهم من فسّره بالقرآن. والقول الثاني: أن الكوثر اسم نهر في الجنّة، وهو قول أكثر المفسّرين، وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله (ص) أنه قال: «الكوثر نهرٌ وَعَدَنِيهِ ربّي في الجنّة، عليه خير كثير، تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة» وعنه (ص) أيضاً في الحديث أنه قال: «بينا أنا أسير في الجنّة فإذا بنهر حافّتاه قباب اللؤلؤ المجوّف، فقلت: ما هذا ياجبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربّك، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذفر[1]»، ورُوِي عن صفته أنه أحلى من العسل، وأشدّ بياضاً من اللَّبَن،

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

(1) المسك الأذفر: ذو الرائحة الشديدة.

وأبرد من الثلج، وألْيَن من الزُّبَد، | عدد نجوم السماء، لايظمأ مَنْ شَرِبَ

حافَتاه الزَّبَرْجَدُ[1]، وأوانيه من فضة | منه أبداً».

---

(١) الزَّبَرْجَدُ: حجر كريم.

سورة الكافرون

١٠٩


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «الكافرون»(*)

سورة «الكافرون» سورة مكية، آياتها ٦ آيات، نزلت بعد سورة الماعون. وهي سورة تصدح بالحقيقة، وترفض أنصاف الحلول، وتعلن أنّ الإسلام إسلامٌ، وأنّ الكفر كفرٌ، ولن يلتقيا.

أسباب النزول

روي أن الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد المطلب، وأميّة بن خلف، في جماعة آخرين، من صناديد قريش وساداتهم، أتوا النبي (ص) فقالوا له: هلمّ يا محمّد، فاتّبع ديننا ونتّبع دينك، ونُشركك في أمرنا كلّه؛ تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلٰهك سنة؛ فإن كان الذي جئت به خيراً، كنّا قد شاركناك فيه، وأخذنا حظاً منه؛ وإن كان الذي بأيدينا خيراً، كنت قد شاركتنا في أمرنا، وأخذت حَظّك منه. فقال معاذ الله أن نشرك بهِ غيرَه؛ وأنزل الله تعالى، ردّاً على هؤلاء، هذه السورة؛ فغدا رسول الله (ص) إلى المسجد الحرام، وفيه الملأُ من قريش، فقام على رؤوسهم ثم قرأ عليهم، حتى فرغ من السورة، فيئسوا منه، وآذَوْه وصحْبَه، حتى اضْطُرّ الى الهجرة الى المدينة[1].

المفردات

﴿مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾: من الأصنام وغيرها.

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

(١) انظر تفسير الطبري ٣٠/ ٢١٤.

﴿دِينُكُمْ﴾: أي الشرك بعبادة الأصنام.

﴿وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾: دين التوحيد.

فكرة السورة

لم يكن العرب يَجْحَدون الله سبحانه، ولكن كانوا لا يعرفونه بحقيقته التي وصف بها نفسه، وهي أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ. فكانوا يشركون به، ولا يعبدونه حقَّ عبادته؛ كانوا يشركون به هذه الأصنام، التي يرمزون بها إلى أسلافهم من الصالحين أو العظماء، أو يرمزون بها إلى الملائكة، ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر/ ٣].

وكانوا يعتقدون أنهم على دين إبراهيم (ع) وأنهم أهدى من أهل الكتاب، الذين كانوا يعيشون معهم في الجزيرة.

ولحسم هذه الشبهات، نزلت هذه السورة بهذا الجزم، وبهذا التوكيد، توضح أنّهم كافرون مشركون، قد نبذوا التوحيد، وخرجوا عن جادّة الصواب؛ فلن يعبد النبي (ص) ما يعبدون من أصنام وأوثان. قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۝٦٤﴾ [الزمر].

مع آيات السورة

[الآية ١]: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾: قل لهم يا أيها الكافرون، نادِهم باسمهم وحقيقتهم، وصِفهُم بوصفهم، أنهم ليسوا على دين وليسوا بمؤمنين، وإنّما هم كافرون.

[الآية ٢]: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾: فعبادتي غير عبادتكم، ومعبودي غير معبودكم، وأنا لا أعبد أصنامكم، ولا أسجد لآلهتكم، وإنما أعبدُ إلها واحداً منزهاً عن النظير المثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى].

[الآية ٣]: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣﴾ وإنكم لكاذبون في دعواكم أنّكُم تعبدون الله، لأنّ الذي تزعمونه ربّاً تتّخذون له الشفعاء، وتجعلون له زوجة من الجن تلد له الملائكة[٢]،

---

(٢) قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٥٨﴾ [الصافات].
وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۝١٩﴾ [الزخرف].

وتنسبون إليه ما يتنزّه عنه الله سبحانه. فهذا الذي تعبدونه لن يكون إلٰها مستحقاً للعبادة.

[الآية ٤]: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾: تكرير وتوكيد للفقرة الأولى، في صيغة الجملة السمية، وهي أدلّ على ثبات الصّفة واستمرارها، وقد كرّر نفي عبادته آلهتهم، قطعاً لأطماعهم وتيئيساً لهم.

[الآية ٥]: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ تكرار لتوكيد الفقرة الثانية، كي لا تبقى مظنة ولا شبهة؛ ولا مجال لمظنة أو شبهة بعد هذا التوكيد المكرر، بكلّ وسائل التكرار والتوكيد.

قال أبو مسلم الأصفهاني معناه: (لا أنا عابد عبادتكم، ولا أنتم عابدون عبادتي).

وخلاصة ما سلف: الاختلاف التام في المعبود، والاختلاف البيّن في العبادة، فلا معبودنا واحد، ولا عبادتنا واحدة. عبادتي خالصة لله وحده، وعبادتكم مشوبة بالشرك، مصحوبة بالغفلة عن الله تعالى: فلا تسمّى على الحقيقة عبادة.

[الآية ٦]: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾. مختصّ بكم لا يتعدّاكم إليّ، فلا تظنّوا أني عليه، أو على شيء منه.

﴿وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ أي ديني هو دين خاصّ بي، وهو الذي أدعو إليه، ولا مشاركة بينه وبين ما أنتم عليه.

خلاصة السورة

١ ـ إنّ التوحيد منهج، والشرك منهج آخر، ولا يلتقيان.

٢ ـ المؤمن لا يسجد للصنم، ولا يعبد ما يعبده الكافر.

٣ ـ الكافر لا يعبد الله، بل ضلّ طريقه إلى عبادته.

٤ ـ المؤمن واضح صادق، فلن يعبد عبادة الكافر، كما أنّ الكافر لا يعبد عبادة المؤمن.

٥ ـ سيلقى المؤمن ثوابه وسيلقى الكافر جزاءه.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «الكافرون»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «الكافرون» بعد سورة الماعون، ونزلت سورة الماعون، فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة «الكافرون» في ذلك التاريخ أيضاً. وكان رهط من قريش ذهبوا إلى النبي (ص) فقالوا له: يا محمد، هَلُمَّ اتّبع ديننا ونتبع دينك. فنزلت هذه السورة في شأنهم.

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ وتبلغ آياتها ست آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السور متاركة الكفار، بعد أن ذهبت السورة السابقة في دعوتهم كلَّ مذهب، فهي كالختام للسور التي ذكرت قبلها، وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها

متاركة الكفار

الآيات [١ ـ ٦]

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ فأمر النبي (ص) أن يخبرهم بأنه لا يعبد ما يعبدون، وأنهم لا يعبدون ما يعبد، وكرّر هذا مرة ثانية توكيداً له، ثم ختمه بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الكافرون»(*)

أقول: وجه اتصالها بما قبلها: أنه تعالى لما قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر/ ٢]، أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلا ربّه، ولا يعبد ما يعبدون، وجاء التكرار توكيداً لذلك، وانفصل الرسول (ص) منهم، على أن لهم دينهم وله دينه.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.



المبحث الرابع

مكنونات سورة «الكافرون»(*)

١ ـ نَزلتْ في الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بنِ عبد المطلب، وأميّة بنِ خَلَف. كما أخرجه ابنُ أبي حاتم[(١)] عن سعيد بن ميناء[(٢)].



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) والطبري في «تفسيره» ٣٠/ ٢١٤.

(٢) سعيد بن ميناء المكّي، ويقال: المدني أبو الوليد مولى البختري بن أبي ذباب، روى عن عبد الله بن الزبير، وجابر، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة: وعنه ابن اسحاق، وأيوب السختياني، وعدة. وَثَّقه النَّسائي، وابن معين، وأبو حاتم، وابن حِبّان. ترجمته في «تهذيب التهذيب» ٤/ ٩١.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «الكافرون»(*)

في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ (لا) تجري مجرى (ما) فرفعت على خبر الابتداء.



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «الكافرون»(*)

إن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝﴾ ولم يقل «من» مع أنه القياس؟

قلنا: فيه وجهان: أحدهما أنه إنما وردت «ما»، رعاية للمقابلة في قوله تعالى: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝﴾ الثاني: أن «ما» مصدرية: أي لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي. وقال الزمخشري: إنّما قال تعالى «ما» لأن المراد الصفة كأنَّ المعنى: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، وقال غيره: «ما» في الكل بمعنى الذي، والعائد محذوف.

فإن قيل: ما الحكمة في التكرار؟

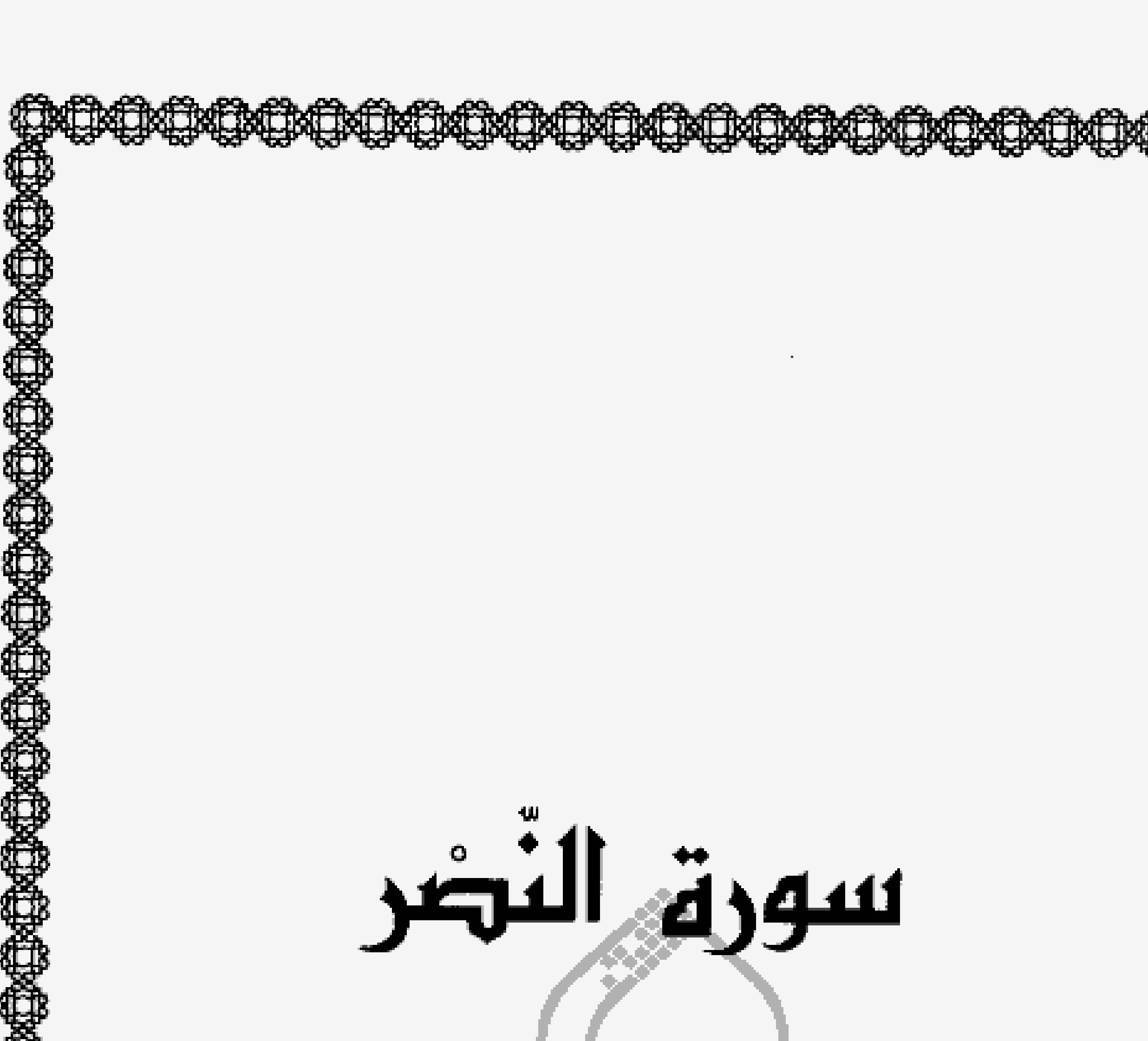
قلنا: فيه وجهان: أحدهما أنه للتأكيد، وقطع أطماعهم فيما طلبوه منه. الثاني: أن الجملتين الأوليين لنفي العبادة في الحال؛ والجملتين الأخريين لنفي العبادة في الاستقبال، فلا تكرار فيه. وهذا قول ثعلب والزّجّاج؛ والخطاب، لجماعةٍ عَلِمَ الله تعالى أنهم لا يؤمنون. وقال الزمخشري، مما يرد الوجه الثاني، وذلك أنه قال تعالى: (لا أعبد) أريدَ به العبادة في المستقبل، لأن (لا) لا تدخل إلاّ على مضارع في معنى الحال، فالجملتان الأوليان لنفي العبادة في المستقبل، والجملتان الأخريان لنفي العبادة في الماضي، فقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝﴾ أي ما عهدتم من عبادة الأصنام في الجاهلية، فكيف يرجى مني بعد الإسلام، وقوله تعالى:

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ أي ما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته.

ويُرَدُّ على قوله: و«الجملتان الأخريان لنفي العبادة في الماضي» أنّ اسم الفاعل المنوّن، العامل عمل الفعل، لا يكون إلا بمعنى الحال أو الاستقبال، و«عابدٌ»، هنا، عامل في «ما» وكذلك عابدون، وجوابه أنّه على الحكاية، كما قال تعالى: ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ [الكهف/٨] فإن قيل: لِمَ لَمْ يقل تعالى: ولا أنتم عابدون ما عبدت، بلفظ الماضي، كما قال سبحانه: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾؟

قلنا: لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل بعثه (ص) وهو ما كان يعبد الله تعالى قبل بعثِهِ بل بعد بعثِهِ. ويُرَد على هذا التقدير: أن أعظم العبادة التوحيد، وكلّ الأنبياء كانوا موحّدين بعقولهم قبل البعثة. وقال بعض العلماء: إنّما جاء الكلام مكرّراً لأنه ورد جواباً لسؤالهم مناوبة، وكان سؤالهم مكرراً، فإنهم قالوا: يا محمد تعبد آلهتنا كذا مدة، ونعبد إلهك كذا مدة، ثم تعبد آلهتنا كذا مدة، ونعبد إلهك كذا مدة، فورد الجواب مكرّراً ليطابق السؤال، وهذا قول حسن لطيف.



سورة النّصْر



١١٠


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

أهداف سورة «النصر»(*)

سورة النصر سورة مدنية وآياتها ٣ آيات.

ومع صغرها فإنها حملت البشرى لرسول الله (ص) بنصر الله والفتح، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، ثم طلبت منه التسبيح والحمد والاستغفار.

المفردات

﴿وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾: المراد به فتح مكة.

﴿أَفْوَاجًا ۝٢﴾: زمراً وجماعات.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الآية ٣]: ونزّهه وقدّسه.

﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾: ممّا قد يكون منك، وهو لتعليمنا.

﴿تَوَّابًا ۝٣﴾: كثير المتاب والغفران لمن تاب.

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية ١] وأظهرك على أعدائه، وفتح لك مكّة، ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [الآية ٢] فوجاً بعد فوج... فنزه ربّك، حامداً إيّاه على ما أولاك من النّعم والمنّة، واستغفر الله، لحظة الانتصار، من الزهو والغرور والتقصير؛ إنه كان، ولم يزل، توّاباً كثير القبول للتوبة، يحبّ التّوابين، ويحب المتطهّرين.

ولمّا دخل النبي (ص) مكّة فاتحاً منتصراً، انحنى على راحلته، حتى أوشك أن يسجد عليها وهو يقول: تائبون، آيبون، حامدون، لربنا شاكرون.

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

سورة التوديع

سورة النصر تحمل بين طياتها إتمام الرسالة، وأداء الأمانة، والاستعداد للّحاق بالرفيق الأعلى.

قال البيضاوي: تسمى سورة التوديع.

ويقال إن عمر لمّا سمعها بكى، وقال: الكمال دليل الزوال.

ورُوِي أن العبّاس بكى لمّا قرأها رسول الله (ص)، فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيك؟ قال نعيت إليك نفسك، فقال النبي (ص): إنها لَكمَا تقول، وإنما ذلك لأنّ فيها تمام الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة/ ٣].

وجاء في رواية للبخاري: أن عمر رضِي الله عنه سأل أشياخ بدر فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾، حتى ختم السورة، فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال: أكذلك تقول يا ابن عبّاس؟ قلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت هو أجَلُ رسول الله (ص) أعلمه له. قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلاّ ما تقول.

وفي رواية الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله (ص) يكثر في آخر أمره من قوله «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب اليه».

مقصود السورة

١ ـ عند الفتح الأكبر، ودخول الناس في دين الإسلام، ينبغي شكر الله والاستغفار من كل تقصير، فإنّ باب الله مفتوح وهو صاحب الطُول، ويقبل التوبة من جميع التائبين.

٢ ـ وفي السورة، إيذان بأداء النبي (ص) للرسالة العظمى، وانتهاء المهمّة الكبرى، وتوجيه له أن يستعد للموت بالاستغفار والتوبة وشكر الله والتسبيح بحمده.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «النصر»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة النصر بعد سورة التوبة، وهي آخر ما نزل من القرآن بالمدينة، وكان نزولها في حجّة الوداع بِمِنًى، فيكون نزولها في السنة العاشرة من الهجرة. وكان هذا بعد أن أتمّ النبي (ص) دعوته، وأخذ الناس يدخلون أفواجاً في دينه.

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ وتبلغ آياتها ثلاث آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة الوعد بالنصر، ونشر الدين في الناس، بعد متاركة أولئك الكفار في السورة السابقة، وهذا هو وجه المناسبة في ذكر هذه السورة بعدها.

الوعد بالنصر ونشر الدين
الآيات [١ ـ ٣]

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فوعد النبي (ص) بالنصر، والفتح، ونشر الدين في الناس، وأمره بتسبيحه واستغفاره شكراً له على ذلك، واستجلاباً لعفوه عما يكون قد حصل منه، وختم ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أسرار ترتيب سورة «النصر»(*)

أقول: وجه اتصالها بما قبلها: أنه قال في آخر ما قبلها: ﴿وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ فكان فيه إشعار بأنه خلص له دينه، وسلّمه من شوائب الكفّار والمخالفين، فعقّب السياق ببيان وقت ذلك، وهو مجيء الفتح والنصر، فإن الناس حينما دخلوا في دين الله أفواجاً، فقد تمّ الأمر، وذهب الكفر، وخلص دين الإسلام ممّن كان يناوئه، ولذلك كانت السورة إشارة إلى وفاته (ص)[1].

وقال الإمام فخر الدين: كأنه تعالى يقول: لما أمرتك في السورة المتقدّمة بمجاهدة جميع الكفّار، بالتبري منهم، وإبطال دينهم، جزيتك على ذلك بالنصر والفتح وتكثير الأتباع.

قال: ووجه آخر، هو: أنه لما أعطاه الكوثر، وهو الخير الكثير، ناسب تحميله مشقّاته وتكاليفه، فعقّبها سبحانه، بمجاهدة الكفّار، والتبري منهم. فلما امتثل ذلك، أعقبه بالبشارة بالنصر والفتح، وإقبال الناس أفواجاً إلى دينه، وأشار إلى دنوّ أجله، فإنه ليس بعد الكمال إلاّ الزوال.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) أخرج البخاري هذا المعنى في التفسير: ٦/ ٢٢٠، ٢٢١. عن ابن عباس. والإمام أحمد في المسند: ١/ ٢١٧، ٣٤٤، ٣٥٦ وابن جرير في التفسير.

المعاني اللغوية في سورة «النصر»(*)

قال تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ واحدهم: الفَوْجُ.

وقال سبحانه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: «يَكُونُ تسبيحُكَ بالحَمْدِ» لأن «التَسبيح» هو ذِكْرٌ. فالمعنى: «يكون ذكرك بالحمد على ما أعطيتك من فتح مكّة وغيره». يقول الرجل: «قَضَيْتُ سُبْحتي من الذكر».

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.



لكل سؤال جواب في سورة «النصر»(*)

إن قيل: أيّ مناسبة بين الأمر بالاستغفار وما قبله، فإن مجيء الفتح والنصر، يناسب الشكر والحمد، لا الاستغفار والتوبة؟

قلنا: قال ابن عباس رضي الله عنهما، لما نزلت هذه السورة، علم النبي (ص) أنه نعيت إليه نفسه. وقال الحسن: أعلم النبي (ص) أنه قد اقترب أجله، فأُمِرَ بالتسبيح والاستغفار والتوبة. ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح، فكان يكثر من قوله: سبحانك اللهم، اغفر لي إنّك أنت التوّاب الرحيم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنّ هذه السورة تسمى سورة التوديع. ورُوِي أن النبي (ص) عاش بعد نزولها سنتين.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سورة المَسَد

١١١



أهداف سورة «المسد»(*)

سورة المسد سورة مكية وآياتها خمس، نزلت بعد سورة الفاتحة.

وتسمى سورة تبّت، وسورة أبي لهب، وسورة المسد لذكر كل ذلك فيها.

مقصود السورة

قال الفيروزآبادي: مقصود السورة تهديد أبي لهب على الجفاء والإعراض، وضياع كسبه وأمره، وبيان ابتلائه يوم القيامة، وذمّ زوجه في إيذاء النبي (ص)، وبيان ما هو مدّخر لها من سوء العاقبة.

المفردات

﴿تَبَّتْ﴾ [الآية ١]: التّبُّ: الهلاك والبوار، وهو دعاء عليه.

﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ [الآية ١]: هو عبد العزّى بن عبد المطلب عمّ النبي (ص)، ومن أشدّ الناس إيذاء له، وللمسلمين.

﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾ [الآية ٢]: ما نفعه ولا أفاده، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾: المراد به الولد، لأن الولد من كسب أبيه، أو المال والجاه.

﴿ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾: لتأججها واستعارها.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ [الآية ٤]: هي أمّ جميل بنت حرب أخت أبي سفيان.

﴿ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾: المراد، الأشواك

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

التي كانت تلقيها في طريق النبي (ص)، والمؤمنين إيذاء لهم؛ أو هو كناية عن إلقاء الفتنة بين النبي (ص) والمشركين.

﴿جِيدِهَا﴾ [الآية ٥]: عنقها.

﴿مَّسَدٍۭ ۝٥﴾: هو الليف، أي في عنقها حبلٌ من ليف، تجمع فيه الحطب وتحزمه.

مع السورة

سورة المسد، وتسمّى أيضاً سورة أبي لهب، وأبو لهب، واسمه: عبد العزّى بن عبد المطّلب، هو عم النبي (ص)؛ وإنما سمّي أبا لهب لإشراق وجهه، وكان هو وامرأته «أم جميل»، من أشدّ الناس إيذاء لرسول الله (ص) وللمؤمنين به.

أخرج البخاري بإسناده عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، أن النبي (ص) خرج إلى البطحاء، فصعد الجبل فنادى: «يا صباحاه»، فاجتمعت إليه قريش، فقال: أرأيتم إن حدّثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك سائرَ اليوم، ألهذا جمعتنا. فأنزل الله السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ والتّباب الهلاك والبوار والقطع؛ و«تبّت» الأولى دعاء، و«تبّت» الثانية تقريرٌ لوقوع هذا الدعاء: هلكت نفس أبي لهب، وقد هلك؛ ما نفعه ماله، وما كسبه بماله من الربح والجاه؛ سيدخل ناراً ذات لهب، ونجد هنا تناسقاً في اللفظ، فجهنّم هنا ذات لهب، يصلاها أبو لهب.

ومضمون السورة: خسر أبو لهب، وضلّ عمله، وبطل سعيه الذي كان يسعاه، للصدّ عن دين الله؛ ولم يُغْنِ عنه ماله الذي كان يتباهى به، ولا جِدُّه واجتهاده في ذلك؛ فإن الله أعلى كلمة رسوله، ونشر دعوته، وأذاع ذكره. وسيعذَّب أبو لهب يومَ القيامة بنارٍ ذاتِ شررٍ ولهيب وإحراق شديد، أعدّها الله لمثله من الكفّار والمعاندين، فوق تعذيبه في الدنيا، بإبطال سعيه، ودَحْضِ عمله؛ وستعذَّب معه امرأته التي كانت تعاونه على كفره وجحده، وكانت عضده في مشاكسة رسول الله (ص) وإيذائه، وكانت تمشي بالنميمة للإفساد، وإيقاد نار الفتنة والعداوة.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ أي وستعذَّب أيضاً بهذه النار امرأته أروى بنت حرب، أخت أبي سفيان بن حرب، جزاء لها على ماكانت تجترحه من السعي بالنميمة، إطفاء لدعوة رسول الله (ص). والعرب تقول لمن يسعى في الفتنة ويفسد بين الناس: هو يحمل الحطب بينهم، كأنّه بعمله يحرق ما بينهم من صلات؛ وقيل إنها كانت تحمل حزم الشوك والحسك والسعدان، وتنثرها بالليل في طريق رسول الله (ص) لإيذائه.

﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾ في عنقها حبل ممّا مُسِّد به من الحبال، أي أُحكم فتلُه؛ وقد صوّرها الله تعالى بصورة من تحمل تلك الحزمة من الشوك، وتربطها في جيدها، كبعض الحطّابات الممتهنات، احتقاراً لها، واحتقاراً لبعلها، حينما اختارت ذلك لنفسها.

وجُمْلةُ أمرها: أنّها في تكليف نفسها المشقّة الفادحة للإفساد بين الناس، وإيقاد نيران العداوة بينهم، بمنزلة حاملة الحطب، التي في جيدها حبلٌ خشنٌ تَشُدُّ به ما تحمله إلى عنقها، حين تستقل به؛ وهذه أبشع صورة تظهر بها امرأة، تحمل الحطب وهي على تلك الحال.

«ويروي بعض العلماء، أن المراد بيان حالها وهي في نار جهنّم، إذ تكون على الصورة التي كانت عليها في الدنيا، حينما كانت تحمل الشوك، إيذاءً لرسول الله (ص) فهي لا تزال تحمل حزمة من حطب النار، ولا يزال في جيدها حبلٌ من سلاسلها، ليكون جزاؤها من جنس عملها، فقد روي عن سعيد بن المسيّب، أنه قال: كانت لأم جميل قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنّها في عداوة محمد؛ فأعقبها الله في جيدها حبلاً من مسد النار»[1].

«وكل امرأة، تمشي بالفتنة والفساد بين الناس، لتفرّق كلمتهم، وتذهب مذاهب السوء، فلها نصيب من هذا العذاب، وجزء من هذا النكال»[2].

(١) تفسير المراغي للأستاذ أحمد مصطفى المراغي ٣٠/ ٢٦٣.

(٢) مقتبس من تفسير جزء عم، للأستاذ الإمام محمد عبده، ص ١٣٣.

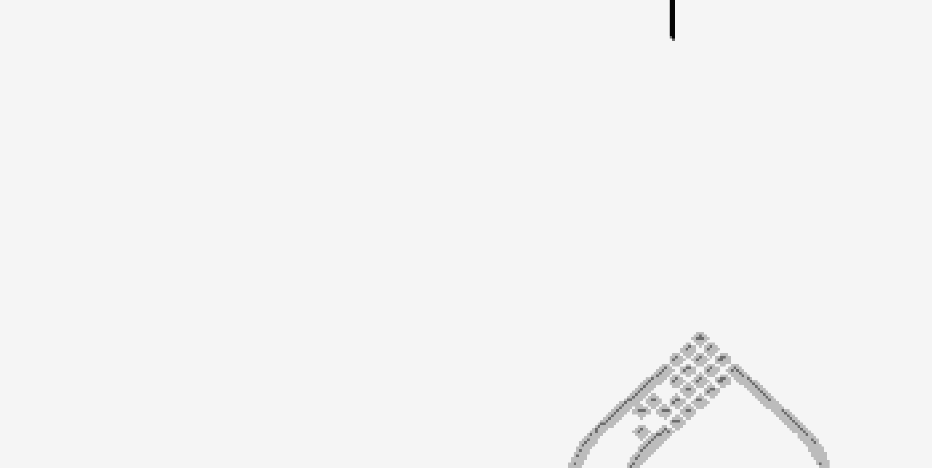
مضمون السورة

١ ـ هلاك لأبي لهب وأيّ هلاك.

٢ ـ لن ينفعه ماله وجاهه، ولا سلطانه وأولاده.

٣ ـ سيصطلي بنار جهنّم، ويحترق بلهيبها.

٤ ـ ويكون معه زوجه في صورة مهينة مزرية، إذ تحمل الحطب، وفي عنقها حبل من ليف؛ أشبه بالمرأة المهينة، أو الحمارة الكادحة.



ترابط الآيات في سورة «المسد»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سور المسَد، بعد سورة الفاتحة؛ ونزلت سورة الفاتحة، فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة؛ فيكون نزول سورة المسَد، في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في آخرها: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ وتبلغ آياتها خمس آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة، إنذار الكافر بالهلاك، بعد وعد المؤمنين بالنصر، في السورة السابقة؛ وهذا هو وجه المناسبة في ذكر هذه السورة بعدها.

إنذار الكافر بالهلاك
الآيات [١ ـ ٥]

قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [الآية ١] فأنذر أبا لهب بهلاك ماله ونفسه؛ والمراد منه كلّ كافرٍ ألهاه ماله عن الاستجابة للنبي (ص)؛ ثمّ ذكر أنّ ماله لا يدفع عنه شيئاً ممّا أُوعد به، وأنّه سيَصْلى ناراً في الآخرة بعد هلاكه، وأنّ امرأته ستكون حمّالةَ حطب جهنم ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.



المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «المسد»(*)

قال الإمام: وجه اتصالها بما قبلها: أنه لما قال تعالى في سورة الكافرون: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ فكأنه قيل: إلهي، وماجزائي؟ فقال الله له: النصر والفتح. فقال: وما جزاء عمي الذي دعاني إلى عبادة الأصنام؟ فقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [الآية ١].

وقدَّم الوعد على الوعيد، ليكون النصر مُعلّلاً بقوله تعالى في «الكافرون»: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾. ويكون الوعيد راجعاً إلى قوله جلّ وعلا في السورة المذكورة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون]، على حد قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران/١٠٦].

قال: فتأمّل في هذه المجانسة الحافلة بين هذه السور؛ مع أن سورة النصر من أواخر ما نزل بالمدينة[1]، و«الكافرون» و«تبت» من أوائل مانزل بمكة[2] ليُعلم، أنّ ترتيب هذه السور من الله، وبأمره.

قال: ووجه آخر، وهو: أنه لما قال تعالى في «الكافرون»: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ كأنه قيل: يا إلهي، ما جزاء المطيع؟ قال: حصول النصر والفتح. فقيل وما ثواب العاصي؟ قال: الخسارة في الدنيا، والعقاب في العقبى، كما دلّت عليه سورة تبّت.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) في حديثٍ، أخرجه مسلم عن ابن عبّاس: ٨/٢٤٢، ٢٤٣. وفيها أنها آخر سورة نزلت.

(٢) الإتقان: ١/٩٦.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكنونات سورة «المسد»[*]

١ ـ ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ [الآية ١].

اسمه عبد العُزّى.

٢ ـ ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ [الآية ٤].

هي أمُ جميل، العَوْراء بنتُ حَرْب، أختُ أبي سفيان صخر بن حرب.

وقال ابنُ دِحْية في «التنوير»: اسمها العواة. كذا في «مسند الحميدي»[1] وقيل اسمها أروى.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهَمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) الذي في مسند الحميدي برقم «٣٢٣» هي كونها أم جميل العوراء. وليس فيه خبر ابن دحية كما توهم عبارة المصنف.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لغة التنزيل في سورة «المسد»(*)

١ ـ قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [الآية ١].

التَّبابُ الهلاك، والجملة في الآية تفيد الدعاء على أبي لهب بالهلاك.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾﴾.

ونَصْبُ ﴿حَمَّالَةَ﴾ على الذم، وفي ذلك استغناء عن الفعل، وهذا ضرب جيد من ضروب الإيجاز.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «المسد»(*)

قال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ بنصب ﴿حَمَّالَةَ﴾ على الذمّ كأنّ المعنى «ذكرتُها حمّالةَ الحطبِ» ويجوز أن تكون ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ نكرة نُوِي به التنوين. وقرئت بالرفع (حمّالةُ) على أنّها صفتها[1]؛ والقراءة بالنصب هي المثبة في المصحف الشريف.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) نسبها الطبري ٣٠/٣٣٨ إلى عامّة قراء المدينة والكوفة والبصرة، إلاّ عبد الله بن أبي اسحاق؛ وإلى عاصم، في رواية؛ وفي السبعة ٧٠٠، والتيسير ٢٢٥، إلى غير عاصم؛ وفي الجامع ٢٠/ ٢٤٠ إلى العامّة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «المسد»(*)

إن قيل: لِمَ ذكره الله تعالى بكنيته دون اسمه، مع أن ذلك إكرام واحترام؟

قلنا: فيه وجوه: أحدها أنه يجوز أنه لم يُعْرف له اسم، ولم يشتهر إلاّ بكنيته، فذكره بما اشتهر به، لزيادة تشهيره بدعوة السوء عليه. الثاني أنّه نُقل أنه اسمه عبد العزّى، وهو كان عبد الله لا عبد العزّى، فلو ذكره باسمه لكان خلاف الواقع. الثالث: أنّه ذكره بكنيته لموافقة حاله لكنيته، فإنّ مصيره إلى النار ذات اللهب، وإنّما كُنّيَ بذلك لتلهُّب وجنتيه وإشراقهما.



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني المجازية في سورة «المَسَد»(*)

في قوله سبحانه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ استعارة، والتّباب الخسران المؤدّي إلى الهلاك، وإنّما وصف سبحانه يدي أبي لهبٍ بالتّباب، وإن كان هو المراد بذلك، لأنّ الأعمال في الأكثر إنّما تكون بالأيدي على ما تقدم من القول في بعض الفصول المتقدّمة، فلما فعل فِعْلاً يؤدّي الى الخَسار، ويفضي إلى البَوار، جاز نسب ذلك إلى يديه، كما يقال هذا ما صنعت يداك وذق ما جنت يداك، وقد تقدّم الكلام على ذلك، والمراد باليدين هنا، المال والملك. يقال: فلان قليل ذات اليد، أي قليل المال والملك، فكأنّه تعالى أخبر بهلاك ماله وملكه، ثم قال تعالى: ﴿وَتَبَّ ۝١﴾ أي هلك هو أيضاً، لأنه كان يَدُلُّ[1] بكثرة أمواله، وسعة أحواله، فإذا خرج عن ملكه قرب من هلكه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ ويكون هلاك ماله حكماً، لا غرماً، لأنه إذا كان مجموعاً من غير حِلِّهِ، ومأخوذاً من غير وجهه، كان هالكاً بائراً، وإن كان سالماً وافراً.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾. استعارة على أحد

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) أي يفتخر.

الاقوال، وهو أن يكون المراد بحمّالة الحطب هنا، أنها تجمع على ظهرها الآثام، وتحتقب الأوزار، من قولهم فلان يحتطب على ظهره إذا فعل ما يجرّ به الآثام إلى نفسه. ومن ذلك سمّي الوزر، لأنه الذنب، الذي كان فاعله احتمل بفعله ثقلاً على ظهره، ويكون ذِكرُ الحبل هنا من تمام المعنى، الذي أشرنا إليه أيضاً، لأنه تعالى لمّا ذكر الحطب على التأويل الذي ذكرناه، جاء بذكر الحبل معه لأن الحبل يجمع فيه الحاطب ما يحتطبه ويضم المحتقب ما يحتقبه؛ وقيل إنها كانت تمشي بالنميمة بين الناس، فلذلك قيل لها حمّالة الحطب، والمعنى يؤول إلى ما قلناه أوّلاً، لأنّها تستحق على فعل النميمة عقاباً، فكأنّها احتطبت الإثم على ظهرها من هذه الجهة، فكانت النميمة سبباً في استحقاقها العقوبة؛ وقيل أيضاً إنها كانت تحمل الشوك على ظهرها، فتلقيه في طريق رسول الله (ص)، ليستضرّ به في ممشاه عليه، وهذا التأويل يُخرج الكلام من باب الاستعارة. وقال ابو عبيدة: المسَدُ عند العرب حبلٌ من أخلاط، وجمعه أمساد، وأنشد الراجز[1]:

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أيانِقِ
صَهْبٍ[2] عَناقٍ[3] ذاتِ مُخٍّ زاهِقِ

قيل إن المسد الليف الذي تفتل منه الحبال، أو أن المسد اسم للفتل نفسه؛ وإنما قال تعالى حبل من فتل، تمييزاً للحبل المفتول، ممّا يقع عليه هذا الاسم، لأنه يقال حبل الذراع وحبل العاتق، فإذا قيل من مسد، علم أنه من الحبال المعهودة، وقيل إن المسد حبل من حديد، وإن ذلك يجعل في عنقها عند دخولها النار، وأخبر عمرو بن أبي

---

(١) ذكر صاحب لسان العرب أنّ الراجز هو عقبة الهجيمي أو عمارة بن طارق. [في الأصل عقبة البهيمي]، وذكر الرجز هكذا:

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أيانِقِ ... لَيْسَ بِأنْيابٍ ولا حَقائِقِ

والأيانق والأنياب والحقائق ضروب من النياق.

(٢) الصهب: الذي يخالط بياضه حمرة.

(٣) العناق: الأنثى من أولاد المعز.

عمرو الشيباني عن أبيه، أنّ المسد محور البكرة، إذا كان من حديد، فهذا مفسِّرٌ لقولِ مَنْ ذهب إلى هذا الوجه، وإذا كان الحبل الذي في جيدها من حديد، فهو السلسلة، فقد قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غافر].




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة الإخلاص

١١٢


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

أهداف سورة «الإخلاص»(*)

سورة الإخلاص سورة مكية، آياتها أربع آيات نزلت بعد سورة الناس.

وتشتمل هذه السورة على أهم أركان الاسلام التي قامت عليها رسالة النبي (ص)؛ وهذه الأركان ثلاثة:

الأول: توحيد الله وتنزيهه.

والثاني: بيان الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات.

والثالث: أحوال النفس بعد الموت، وملاقاة الجزاء من ثواب وعقاب، وصفة اليوم الآخر وما فيه من بعث، وحشر، وحساب، وجزاء، وصراط، وميزان، وجنة، ونار.

وأول هذه الأركان هو التوحيد والتنزيه لإخراج العرب وغيرهم من الشرك والتشبيه، ولهذا ورد في الحديث أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن، لاشتمالها على التوحيد وهو أصل أصول الاسلام.

وفي كتب التفسير: أن هذه السورة نزلت جواباً للمشركين؛ حينما سألوا رسول الله (ص)، أن يصف لهم ربّه، ويبين لهم نسبه، فوصفه لهم ونزّهه عن النسب، إذ نفى عنه أن يكون والداً، أو مولوداً، أو يكون له شبيه، ومثيل.

﴿هُوَ﴾ [الآية ١] ضمير تفسّره الجملة التالية ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وهو يدلّ على فخامة ما يليه، بإبهامه، ثم تفسيره، ممّا يزيده تقريراً.

﴿اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾: (الله) علم: دالٌّ على الذات العليّة دلالةً مطلقةً،

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

تجمع معاني أسمائه الحسنى كلّها، وما تصوّره من التقديس، والتمجيد، والتعظيم، والربوبية، والجلال، والكمال.

﴿أَحَدٌ ۝١﴾ صفة تقرّر وحدانية الله من كل الوجود، فهو واحد في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله، وفي عبادته؛ أمّا أحَدِيّته أو وحدانيّته في ذاته، فمعناها أنّه يستقل بوجوده عن وجود الكائنات والمخلوقات؛ فوجودها حادث بعد عدم، وهي محتاجة إلى علّةٍ تُوجدها، وتظل قائمة عليها، حافظة وجودها، طَوَال ما كُتِب لها من بقاء. أما وجود الله سبحانه، فوجودٌ أزليٌ، وجود لذاته، ومنه انبثق كل الوجود، إنّه واجب الوجود الذي لا أوّل لوجودِهِ، ولا آخِر، والفرد الذي لا تركيبَ في ذاته.

﴿اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فلا إلهَ سواه، ولا شريك معه؛ وكانوا قد عبدوا آلهة متعدّدة مثل الشمس، والقمر، واللّات، والعزّى، ومَنَاة، ونسر. وكان منهم من اتّخذ إلٰهين: إلٰهاً للنور وإلٰهاً للظلمة، ومن قال إن الله ثالث ثلاثة من الآلهة. أعلن القرآن الكريم النكير على من اتخذ إلٰهاً غير الله تعالى، وقرر القرآن أنه سبحانه، لا شريك له، ولا مثيل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ [النساء].

ووحدانيّة الصّفات تعني تنزيه الله سبحانه فيها عن صفات المخلوقين من البشر، وغير البشر؛ فهو جلّ جلاله، متفرّد بصفاته تفرده بذاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى ١١]، لا في الذات ولا في الصفات. وقد تعدّدت صفات الله في القرآن، ولأنها ذاتية دعاها أسماء، إذ يقول جلّ شأنه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

ويقول: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَٰلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر/ ٢٤]. وهذه الصفات، منها ما يصوّر عظمة الله وجلاله مثل: العظيم، المتعال، الحميد، المجيد، القُدّوس، ذي الجلال والإكرام. ومنها ما يصوّر خلق الكون وصنع الوجود مثل: البارئ، المصوّر، الخالق، البديع. ومنها ما يصوّر القدرة الإلٰهية مثل: القوي، القادر، القهّار، المهيمن. ومنها ما يصوّر العلم الرباني مثل: العليم الحكيم، الخبير. ومنها ما يصوّر

رحمة الله بعباده مثل: الرؤوف، الرحمن، الرحيم... إلى غير ذلك من صفات قد تلتقي بصفات البشر، ولكنها تختلف عنها في الجنس والنوع، هي وكل ما يتصل بالذات الإلهية.

ووحدانية الله في أفعاله: هي التفرد في خلق الكون، والقيام عليه، وتدبير نظامه المحكم، بقوانين ماثلة في جميع الأشياء، يقول الحق سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق].

وهذا الكون العظيم، بنظامه البديع، وناموسه الرائع، يدلّ دلالة واضحة على وحدانية الله، وتفرّده بالألوهية. قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء/ ٢٢]. وقال سبحانه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾ [المؤمنون].

ومضمون هذه الآيات، أنه لو تعددت الآلهة في الكون، لفسد نظام السماوات والأرض، ولاختلّ تماسُكها القائم على وحدة نظام، ووحدة تسيير؛ وبما أن الكون، لم يفقد نظامه، ولا تماسكه، فدل ذلك على نفي تعدّد الآلهة، وثبتت وحدانية الحقّ، سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾. ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾.

(الصمد): المقصود في الحوائج وحدَه، فهو الملاذ، وهو الملجأ، وهو المُستعان، وهو المُستغاث، ولا حَوْل ولا طَوْل لسواه، إنّه الخالق، الصانع، الحافظ، الوهّاب، النافع، الضارّ؛ كلّ شيء بيده جلّت قدرته، وفي قبضته؛ يعطي، ويمنع؛ يبسط ويقبض؛ يثيب ويعاقب؛ وكل شيء في الكون متّجه إليه، يتلقّى منه الوجود؛ إنه المحيي المميت، الذي يهب كل حي حياته؛ وكلُّ حيّ بل كلّ كائن، ينقاد إليه شاعراً بضعفه وعجزه؛ وأنه محتاج إلى برّه وتفقّده له؛ فهو الكالئ، الحافظ، بالليل والنهار، وعلى مر الزمان. وهو

الراعي المربّي الذي يفتقر إليه كل شيء في الوجود، وينقاد بأزمّته. وفي ذلك يقول جل ذكره: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل].

قال الإمام محمد عبده: «وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾: يشعر بأنه [سبحانه هو] الذي ينتهي إليه الطلب مباشرة، بدون واسطة ولا شفيع، وهو في ذلك يخالف عقيدة مشركي العرب، الذين يعتقدون بالوسائط والشفعاء، وكثير من أهل الأديان الأخرى، يعتقدون بأن لرؤسائهم منزلةً عند الله، ينالون بها التوسّط لغيرهم في نيل مبتغاهم، فيلجأون إليهم أحياء وأمواتاً، ويقومون بين أيديهم، أو عند قبورهم، خاشعين خاضعين، كما يخشعون لله بل أشدّ خشية»[1].

وقد نفى القرآن كل وساطة بين العبد وربه، وبيّن أن باب الله مفتوح على مصراعيه، للضارعين والتائبين والسائلين، فهو سبحانه قريب من عباده، لا يحتاج إلى وساطة أو شفاعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]. وبذلك نرى، أن الله سبحانه يرفع كلّ حجاب بينه وبين عباده، ليتجهوا إليه بالمسألة حينما تنزل بهم بعض الخطوب، أو حينما تصيبهم بعض الفواجع، أو حينما يلتمسون أي مقصد من مقاصد الدنيا، أو مقاصد الآخرة. قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر/ ٦٠] وقال سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف].

وعلى ذلك، فالإسلام ينكر بيع صكوك الغفران، لأن المغفرة بيد الله وحده. وينكر الإسلام الاعتراف بالذنب لرجل الدين، حتى تصحّ التوبة، ويُمّحي الذنب، إذ أساس الإسلام، أن الله وحده هو المقصود في كلّ شيء: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الشورى/ ٢٥ ـ ٢٦].

---

(١) تفسير جزء عم، للأستاذ الإمام محمد عبده، ص ١٢٥، مطابع الشعب.

وقد جعل الدّينُ الدعاءَ مُخَّ العبادة، لأن الدُّعاء اعتراف ضمنيٌ بقدرة الله تعالى وعظمته، وأنه سبحانه الخالق، البارئ، الرازق، الفعّال لما يريد؛ وأن بيده الخير، والأمر، والنفع، والضرّ، وأنه مسبب الأسباب. وللدعاء آداب منها:

التوبة النصوح، وأكل الحلال، وأداء الفرائض، واجتناب الحرمات، والتزام التضرع، والخضوع في مناجاة الله ودعائه، واليقين الكامل بأن الله تعالى هو النافع الضار، لا رادّ لقضائه ولا معقب لأمره: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

وتمكيناً لهذه العقيدة الإسلامية في النفوس، علّم رسول الله (ص) ابن عمه عبد الله بن عبّاس ـ وهو غلام صغير، وقد كان راكباً خلفه ـ كلمات ينفعه الله بهنّ في الدنيا والآخرة:

«فعن عبدالله بن عباس قال: كنت رديف النبي (ص) على بغلته فقال لي: يا غلام، هل أعلّمك كلمات ينفعك الله بهنّ في الدنيا والآخرة؟ قلت: نعم يا رسول الله علّمني. فقال لي: يا غلام: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ما نفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، واعلمْ أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن يضرّوك بشيء ما ضرّوك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفّت الصحف» رواه أحمد والتِّرْمِذِي، وهو حديث صحيح.

وحيث يعلم المؤمن هذه الحقيقة، ويحيى في فكره وقلبه صمدية الله تعالى، فإنه لا يرجع في أمر من أموره إلاّ إليه سبحانه، ولا يتقرّب بأيّ قُربى إلاّ قربى تُدنيه من طاعةِ ربّه ومرضاته؛ وتثبيتاً لحقيقةِ صَمَدِيَّةِ الخالق، من حقائق صفات الألوهية، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾، أي الله هو الغني في ذاته، وفي صفاته، غِنًى تامّاً، وهو الذي يُصْمَدُ إليه أي: يُرْجَعُ إليه في كل أمر صَغُر أو كَبُر.

قال أبو هريرة في تفسير كلمة الصمد: هو المستغني عن كلّ أحد، المحتاجُ إليه كلُّ أحد.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لم يتخذ ولداً ﴿وَلَمْ

﴿يُولَدۡ ٣﴾ ليس له والد يكنى به. والقرآن بهذا ينزّه الله العلي العظيم، عن شبهه بالآدميين الفانين، الذين يوجدون بعد عدم، ويعيشون وينجبون الولد والأولاد، ثم تشتعل رؤوسهم شيباً، ويبلغون من الكبر عتياً، ثم يموتون. وبذلك يكون الإنسان والداً ومولوداً في آن واحد. أما الله سبحانه، فتعالى علواً كبيراً، عن أن يلد أو يولد، فهو منزّه عن مجانسة الآدميين، في اتخاذ الصاحبة، أو الزوجة، واتّخاذ الأولاد. قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام].

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾:

الكُفُوْ (أو الكُفْؤ) معناه المكافئ، والمماثل في العمل والقدرة، وهو نفي لما يعتقدُه بعض المبطلين، من أنّ لله نداً في أفعاله يعاكسه في أعماله، على نحو ما يعتقده بعض الوثنيين في الشيطان مثلاً، فقد نفى سبحانه بهذه السورة، جميع أنواع الشرك، وقرّر جميع أصول التوحيد والتنزيه.

«وقد جعل الله سبحانه الآية الأخيرة خاتمة للآيات قبلها، فبعد أن قرر جلّ وعلا وحدانيته، وعظيم سلطانه، وأنّه ملاذ الكون ومخلوقاته، وأنّه منزه عن مشابهة الإنسان، ومماثلته؛ لتفرّده بقِدَمِهِ وأزليّته، قال في صيغة عامّة إنّه ليس له مثيل، ولا نظير من الخلق، في أيّ صفة، ولا في أيّ فعل، ولا في أيّ شيء من الأشياء»(٢).

وقد سفّه القرآنُ في مواطن كثيرة، من جعلوا لله أنداداً من المخلوقات، وبيّن أنه سبحانه الصانع الأعظم، وما من كائن إلاّ ويفتقر إليه في وجوده، وفي معنى سورة الإخلاص يقول الله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن

(٢) دكتور شوقي ضيف، سورة الرحمن وسور قصار ص ٣٨٠، مطابع دار المعارف.

﴿كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مريم].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء].




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «الإخلاص»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الإخلاص، بعد سورة الناس، ونزلت سورة الناس، بعد سورة الفَلَق، ونزلت سورة الفلق، بعد سورة الفيل، وكان نزول سورة الفيل، فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة الإخلاص، في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم، لما فيها من طلب إخلاص الدين لله تعالى: وتبلغ آياتها أربع آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إخلاص الدين لله سبحانه، بعد ما وعد من نصر المؤمنين، وهلاك الكافرين، وهذا هو وجه المناسبة في ذكر سورة الإخلاص، بعد سورتي النصر والمسد.

طلب إخلاص الدين لله
الآيات [١ ـ ٤]

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ فأمر نبيه (ص) بأن يخلص الدين له، فيعلن في الناس أنّه جلّ جلاله واحد في ذاته. صمد لا يشبهه أحد من خلقه، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أسرار ترتيب سورة «الإخلاص»(*)

قال بعضهم: وُضِعَتْ هٰهُنا للوِزان في اللفظ بين فواصلها، ومقطع سورة تبت.

وأقول: ظهر لي هنا غير الوِزان في اللفظ: أن هذه السورة متصلة بـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ①﴾ في المعنى. ولهذا قيل: من أسمائها أيضاً الإخلاص. وقد قالوا: إنها اشتملت على التوحيد، وهذه أيضاً مشتملة عليه. ولهذا قُرِنَ بينهما في القراءة في الفجر، والطواف، والضحى، وسنّة المغرب، وصبح المسافر، ومغرب ليلة الجمعة[1].

وذلك أنه، لما نفى سبحانه عبادة ما يعبدون، صرّح هنا بلازم ذلك، وهو أن المعبود الله الأحد، وأقام الدليل عليه جلّ وعلا بأنه صمد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾ ولا يستحق العبادة إلا من كان كذلك، وليس في معبوداتهم ما هو كذلك.

وإنما فصل بين النظيرتين بالسورتين[2] لما تقدم من الحكمة، وكأن إيلاءها سورة تبت، ورد عليه بخصوصه.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عمر: ٢/١٢٠ أنّ النبي (ص)، قرأ في الفجر، سفراً، بالكافرين والإخلاص. وأخرج ابن حجر في المطالب العالية: ٣/٣٩٩ عن النبي (ص)، يقول بضعاً وعشرين مرة: «نعم السورتان يقرأ في الركعتين: الأحد الصمد، وقل يا أيها الكافرون» وأخرج عن أبي يعلى من حديث جبير بن مطعم، أنّه (ص) أمره أن يقرأ: الكافرون، والنصر، والإخلاص، والمعوّذتين (المصدر السابق ٣/٣٩٨).

(٢) أي: بين سورتي الكافرون والإخلاص، بسورتي النصر وتبّت.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لغة التنزيل في سورة «الإخلاص»(*)

١ ـ قال تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ [الآية: ٢].

الصَّمَد: هو المقصود، أي: المصْمود، وهذا باب «فَعَل» الذي يفيد اسم المفعول كالحَلَب والجَلَب وغيرهما.

أقول: وليس من وجه لقول المعاصرين: صَمَدَ في وجه الأعداء أي: ثَبَتَ ذلك إن (صَمَد) تعني قَصَدَ؛ والآية شاهد.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «الإخلاص»(*)

في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فان قوله ﴿أَحَدٌ ۝١﴾ بدل من قوله ﴿ٱللَّهُ﴾[1] كأنّ السياق: «هُوَ أَحَدٌ»، ومن العرب من لا ينوّن[2] فيحذف لاجتماع الساكنين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ ﴿أَحَدٌ ۝٤﴾ هو الاسم و ﴿كُفُوًا﴾ هو الخبر.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) نقله في إعراب القرآن ٣/ ١٥٥١، والمشكل ٢/ ٨٥٣.

(٢) نسبت قراءة عدم التنوين في معاني القرآن ١/ ٤٣٢ الى كثير من القراء الفصحاء؛ وفي الطبري ٣٠/ ٣٤٤ إلى نصر بن عاصم، وعبد الله بن أبي اسحاق؛ وفي السبعة ٧٠١ إلى أبي عمرو؛ وفي الشواذ الى نصر بن عاصم، وأبي عمرو، وعمر بن الخطاب؛ وفي البحر ٨/ ٥٢٨ إلى أبان بن عثمان، وزيد بن علي، ونصر بن عاصم، وابن سيرين، والحسن، وابن أبي إسحاق، وأبي السمال، وأبي عمرو في رواية يونس، ومحبوب والأصمعي، واللؤلؤي، وهرون عنه.

أمّا قراءة التنوين فنسبت في الطبري ٣٠/ ٣٤٤ إلى عامّة قرّاء الأمصار إلاّ نصر بن عاصم، وعبد الله بن أبي إسحاق، والحضرمي، وفي السبعة ٧٠١ إلى ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكِسائي.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «الإخلاص»(*)

إن قيل: فالمشهور في كلام العرب أنّ الأحد يستعمل بعد النفي، والواحد يستعمل بعد الإثبات، يقال: في الدار واحد، وما في الدار أحد. وجاءني واحد وما جاءني أحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة/ ١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف]، ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾ [التوبة/ ٨٤]، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة/ ١٣٦]، ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾ [الأحزاب/ ٣٢]، ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [الحاقة/ ٤٧]، فكيف جاء هنا أحد في الإثبات؟

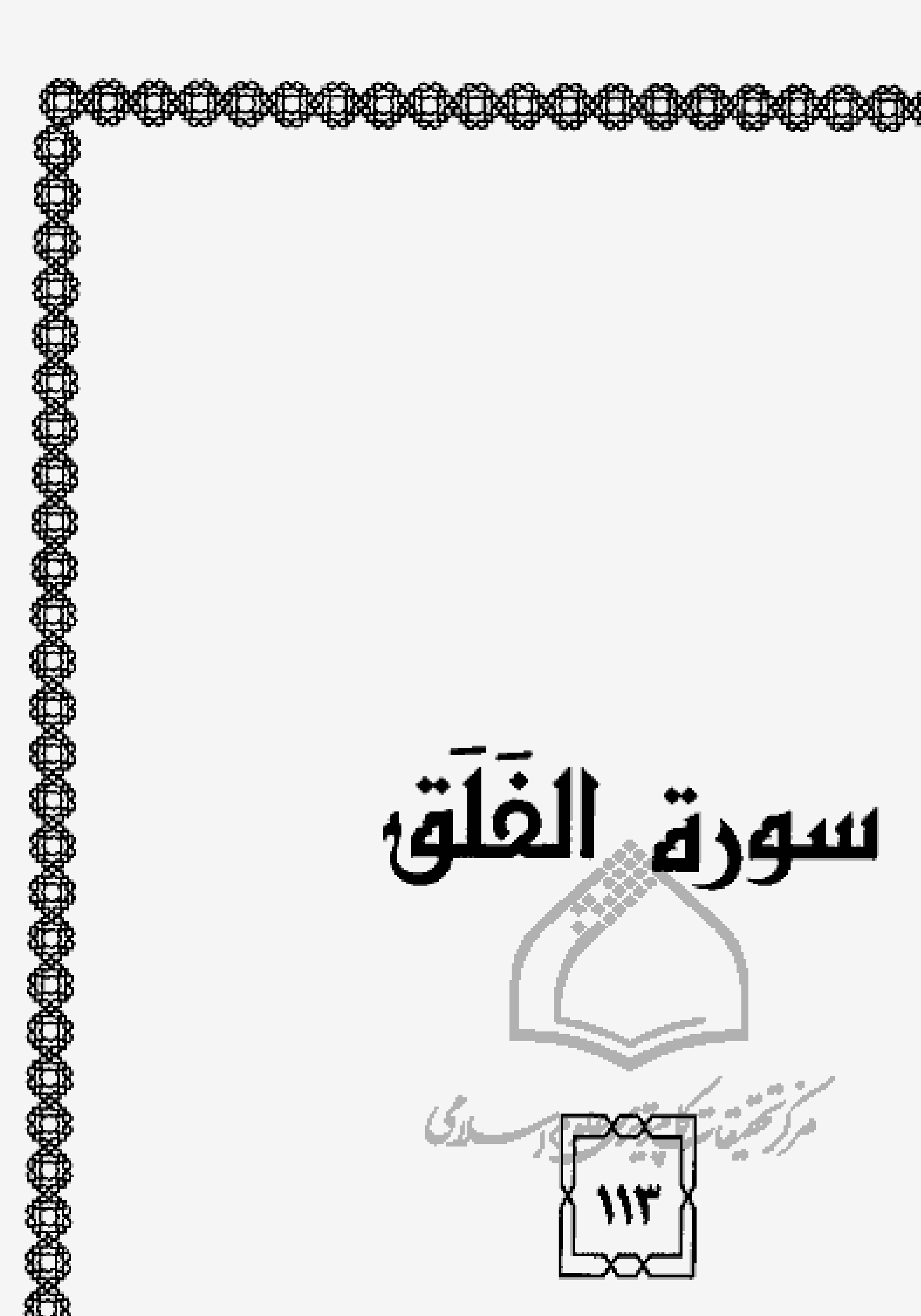
قلنا: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا فرق بين الواحد والأحد، في المعنى؛ واختاره أبو عبيدة، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ [الكهف/ ١٩] وقولهم أحد وعشرون وما أشبهه. وإذا كانا بمعنًى واحد، لا يختصّ أحدهما بمكان دون مكان، وإن غلب استعمال أحدهما في النفي، والآخر في الإثبات، ويجوز أن يكون العدول عن الغالب هنا رعاية لمقابلة الصمد.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة الفَلَق

۱۱۳




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

أهداف سورة «الفلق»(*)

سورة الفلق سورة مكيّة، وآياتها خمس، نزلت بعد سورة الفيل.

وسورة الفلق توجيه من الله سبحانه لنبيّه (ص) وللمؤمنين جميعاً، للعياذ بكنفه، واللياذ بجاهه من كل سوء، والاعتصام بقدرته والاحتماء بجلاله، من شرور مخلوقاته، وما عسى أن يصدر عنهم من إفك وحسد.

المفردات

﴿أَعُوذُ﴾ [الآية ١]: ألجأ وأتحصن.

﴿ٱلْفَلَقِ ١﴾: الصبح.

﴿مَا خَلَقَ ٢﴾: من الشر أو الأشرار.

﴿غَاسِقٍ﴾ [الآية ٣]: هو الليل المظلم.

﴿وَقَبَ ٣﴾: دخل، شمل، غمر.

﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ [الآية ٤]: النفث: النفخ مع شيء من الريق.

﴿ٱلْعُقَدِ ٤﴾: ما أحكم ربطه حسّاً، كعقدة الحبل، أو معنًى كعقد البيع والنكاح، والمراد عقد السحر أو النميمة، والفتنة بين الناس التي تقطع روابط الالفة.

مع آيات السورة

[الآيتان ١ ـ ٢]: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾.

الفلق هو الصبح، وقال جمع من المفسّرين: إن الفلق هو الموجود

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

الممكن كلّه، أي قل أستعيذ برب المخلوقات وبفالق الإصباح، من كلّ أذى وشرّ يصيبني من مخلوق من مخلوقاته طُرّاً.

ثمّ خصّص من بعض ما خلق أصنافاً، يكثر وقوع الأذى منهم:

[الآية ٣]: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أصل المعنى في مادة غسق: السّيلان والانصباب، وأصل الوَقْب: النُّقرة في الجبل ونحوه، ووقب بمعنى دخل دخولاً لم يترك شيئاً إلاّ مرّ به.

والمراد من الغاسق هنا: الليل، ووقب: أي دخل وغمر كلّ شيء، كأنّما انصبّ عليه، واشتدّت ظلمته. أي أستعيذ بالله من شرّ الليل إذا دخل، وغمر كلّ شيءٍ بظلامه. أستعيذ بالله من الظلام الحالك، وما يختبئ فيه من حشرة مؤذية، ومن شيطان تساعده الظلمة على الانطلاق والإيحاء، أو من ظلمات النفس وغلبة الشكّ والحيرة. وعن ابن عبّاس: «هو ظلمة الشهوة البهيمية إذا غلبت واعية العقل»[1].

[الآية ٤]: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾، أي ومن شرّ النّمامين الذين يقطعون روابط المحبة، ويبدّدون شمل المودّة، «والنميمة تشبه أن تكون ضرباً من السحر، لأنها تحوّل ما بين الصديقين من محبة الى عداوة، بوسيلة خفيّة كاذبة، والنميمة تضلّل وجدان الصديقين، كما يضلّل الليل من يسير فيه بظلمته، ولهذا ذكرها عقب ذكر الغاسق إذا وقب؛ ولا يسهل على أحد أن يحتاط للتحفّظ من النّمام، فربما دخل عليك بما يشبه الصدق، حتى لا يكاد يمكنك تكذيبه، فلابد لك من قوّة أعظم من قوّتك، تستعين بها عليه»[2].

والنفّاثات في العقد: الساحرات الساعيات بالأذى، عن طريق خداع الحواس، وخداع الأعصاب، والإيحاء إلى النفوس، والتأثير والمشاعر؛ وهنّ يعقدن العُقَدَ في نحو خيط أو منديل، وينفثن فيها، كتقليد من تقاليد السّحر والإيحاء.

ويصح أن يراد بالنفّاثات في العقد، النساء الكيّادات اللواتي يفسدن عَقْدَ

(١) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري، ٣٠/ ٢١٤.

(٢) تفسير جزء عم للإمام محمد عبده، ص ١٣٨.

الزوجية، بصرف الزوج عن زوجته، واستمالته حتّى يهجر زوجته الأولى. فكأنّ الثانية أفسدت عقد الزوجية بين الزوج، وزوجته الأولى[1].

[الآيــة ٥]: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ والحسد انفعال نفسي، إزاء نعمة الله، على بعض عباده، مع تمنّي زوالها، وسواء أأتبع الحاسد هذا الانفعال بسعي منه لإزالة النعمة، تحت تأثير الحقد والغيظ، أو وَقَفَ عند حد الانفعال النفسي؛ فإنّ شراً يمكن أن يعقب هذا الانفعال.

فإذا حسد الحاسد، ووجّه انفعالاً نفسياً معيّناً إلى المحسود، فإنّ شراً يمكن أن ينفذ إلى المحسود، من طريق العين أو النفس؛ ونحن نستجير بالله ونستعيذ به، ونلجأ إلى رحمته وفضله، ليعيذنا من هذه الشرور، إجمالاً وتفصيلاً.

وقد روى البخاري بإسناده عن عائشة رضي الله عنها أن النبي (ص)، كان إذا آوى إلى فراشه، كل ليلة، جمع كفّيه، ثم نفث فيهما، وقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. وهكذا رواه أصحاب السنن.

مقصود سورة الفلق

١ ـ الالتجاء إلى الله، والتحصّن بقدرته من شرّ الخلق.

٢ ـ ومن شرّ الظلام إذا انتشر، وغطّى الكون.

٣ ـ ومن شرّ النساء الكيّادات، صاحبات الحِيَل، ومن شرّ أهل الفتنة والنميمة.

٤ ـ ومن شرّ الحسود إذا وجّه كيده للحسد.

(١) وفي الحديث: «لاتسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صفحتها». أي ينبغي على المرأة ألاّ تطلب من الزوج طلاق زوجته لتحلّ محلها، وتأكل في إنائها، وتحتل مكانتها. ومن النساء من يحلو لهنّ إفساد ما بين الزوج وزوجته، أو خطف الرجل من امرأته، وهو كيد، نستعيذ بالله منه.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الفلق»(*)

تاريخ نزلها ووجه تسميتها

نزلت سورة الفَلق بعد سورة الفيل، ونزلت سورة الفيل فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة الفلق في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ والفلق الصبح، لأن الليل ينفلق عنه، وتبلغ آياتها خمس أيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة، تخصيص الله تعالى بالاستعاذة من شرّ الخلق، وهذا يدخل فيما سيقت له سورة الإخلاص، من إخلاص الدين لله تعالى، وبهذا يدخل سياق هذه السورة في سياقها، ويكون ذكرها بعدها لهذه المناسبة.

تخصيص الله بالاستعاذة من شر الخلق الآيات [١ ـ ٥]

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ فأمر النبي (ص) أن يخصّه بالاستعاذة من شرّ ما خلق، وخصّ من هذا ثلاثة أشياء: الليل إذا أقبل، والسواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط عند الرُّقية، والحاسد الذي

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

يتمنى زوال نعمة غيره، فقال سبحانه: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾.

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الفلق»(*)

أقول: هاتان السورتان نزلتا معاً، كما في الدلائل للبيهقي. فلذلك قُرنتا، مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوّذتين، ومن الافتتاح بقل أعوذ، وعقّب بهما سورة الإخلاص، لأن الثلاث سميت في الحديث بالمعوّذات، وبالقوارع[1].

وقدّمت «الفلق» على «الناس»، وإن كانت أقصر منها، لمناسبة مقطعها في الأوزان لفواصل «الإخلاص» مع مقطع «تبّت».

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) الذي عثرت عليه حديث عبد الله بن خبيب، عن أبيه، قال: أصابنا طَشٌ [أي مطر ضعيف] وظلمة، فانتظرنا رسول الله (ص)، فأخذ بيدي فقال: «قل. فسكت. فقال: قل. فقلت: ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً تكفك، كل يوم مرتين» مسند الإمام أحمد: ٥/ ٣١٢، وأبو داود في الأدب ما يقول إذا أصبح: ٢/١٧٦، والنسائي في الاستعاذة: ٨/ .٢٥٠ والتِّرمذي في الدعوات: ٩/ ٣٤٧، وحديث أن النبي (ص) كان يتعوّذ بهن كل ليلة ثلاث مرات (البُخاري في فضائل القرآن: ٦/ ٢٢٣).

ونقل السُّيوطي عن السَّخاوي قولهُ: (وقوارع القرآن الآيات التي يُتعوّذ بها ويُتحصّن، سمّيت بذلك لأنها تقرع الشيطان، وتقمعه، كآية الكرسي والمعوّذتين) الإتقان: ١/ ٢٠١.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكنونات سورة «الفَلَق»(*)

١ ـ ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾.

فُسِّر في حديث مرفوع بالقمر إذا طلع. أخرجه الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها[١].

وقال ابنُ شِهاب: هو الشمس إذا غربت.

وقال ابنُ زيد: الثُّريا[٢].

أخرجهما ابنُ أبي حاتم.

٢ ـ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾.

بنات لَبيد بن الأعصم.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) «سنن التِّرمذي» (٣٣٦٣) في التفسير. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ونص الحديث: عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي (ص) نظر إلى القمر فقال: «يا عائشة استعيذي بالله من شرّ هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب».

قال البغوي فعلى هذا المراد بالقمر إذا خسف واسْوَدّ، (وقب) أي دخل في الخسوف، أو أخذ في الغيبوبة. وقال ابن عباس: (الغاسق): الليل إذا أقبل بظلمته من المشرق، و (الغَسَق): الظلمة.

(٢) وأخرجه ابنُ جرير في «تفسيره» ٣٠/٢٢٦ ـ ٢٢٧.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «الفلق»(*)

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾.

الغاسق القمر، ووقوبُه: دخوله في الكسوف، وهذا من كلم القرآن.



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «الفلق»(*)

قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③﴾. تقول: «غَسَقَ» «يَغْسِقُ» «غُسُوقاً» وهي الظُّلْمة. و«وَقَبَ» «يَقِبُ» «وُقُوباً» وهو الدخول في الشيء.



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «الفلق»(*)

إن قيل: قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ يتناول كل ما بعده، فما الحكمة في الإعادة؟

قلنا: خص شرّ هذه الأشياء الثلاثة بالذكر، تعظيماً لشرّها؛ كما في عطف الخاصّ على العام، تعظيماً لشرفه وفضله؛ أو خصّها بالذكر لخفاء شرّها، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يشعر به، ولهذا قيل: شر الأعداء المداجي، وهو الذي يكيد الإنسان من حيث لا يعلم.

فإن قيل: لِمَ عرّف سبحانه النفّاثات، ونكّر ما قبلها وما بعدها؟

قلنا: لأن كلّ نفّاثة لها شرّ، وليس كل غاسق وهو الليل له شرّ، وكذا ليس كل حاسد له شرّ، بل رب حسد كان محموداً وهو الحسد في الخيرات، ومنه قوله (ص) «لا حسد إلا في اثنتين» الحديث. وقال أبو تمام:

وما حاسدٌ في المَكرُمات بحاسد
إنَّ العُلى حَسَنٌ في مِثْلِها الحَسَدُ

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني المجازية في سورة «الفلق»(*)

قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ استعارة، والمراد بالغاسق هنا الليل، وقيل إنه في الاصل اسم لكل وارد، بما يُستضرّ به، ويخاف منه؛ فسميَ الليل غاسقاً، لأنه يرد بالمخاوف، ويطرق بالدواهي، في الأغلب والأكثر، لأنه يستنهض السِّباع من مرابضها، ويستدلق[1] الهوام من مكامنها، إلى غير ذلك، وما يجري هذا المجرى؛ ومعنى «وَقَبَ» أي دخل بما يدخل به، ممّا أومأنا إلى ذِكْرِهِ، يقال: وَقَبَ يَقِبُ وُقُوباً إذا دخل، وقال بعضهم الكوكب، وإنّما سمّي الليل به، لأنه لا يكون إلاّ بالليل، والأوّل أصحّ، لأن الغسق اسم للظلام، ويقال غَسَقَ الليلُ إذا أظلمَ.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾.

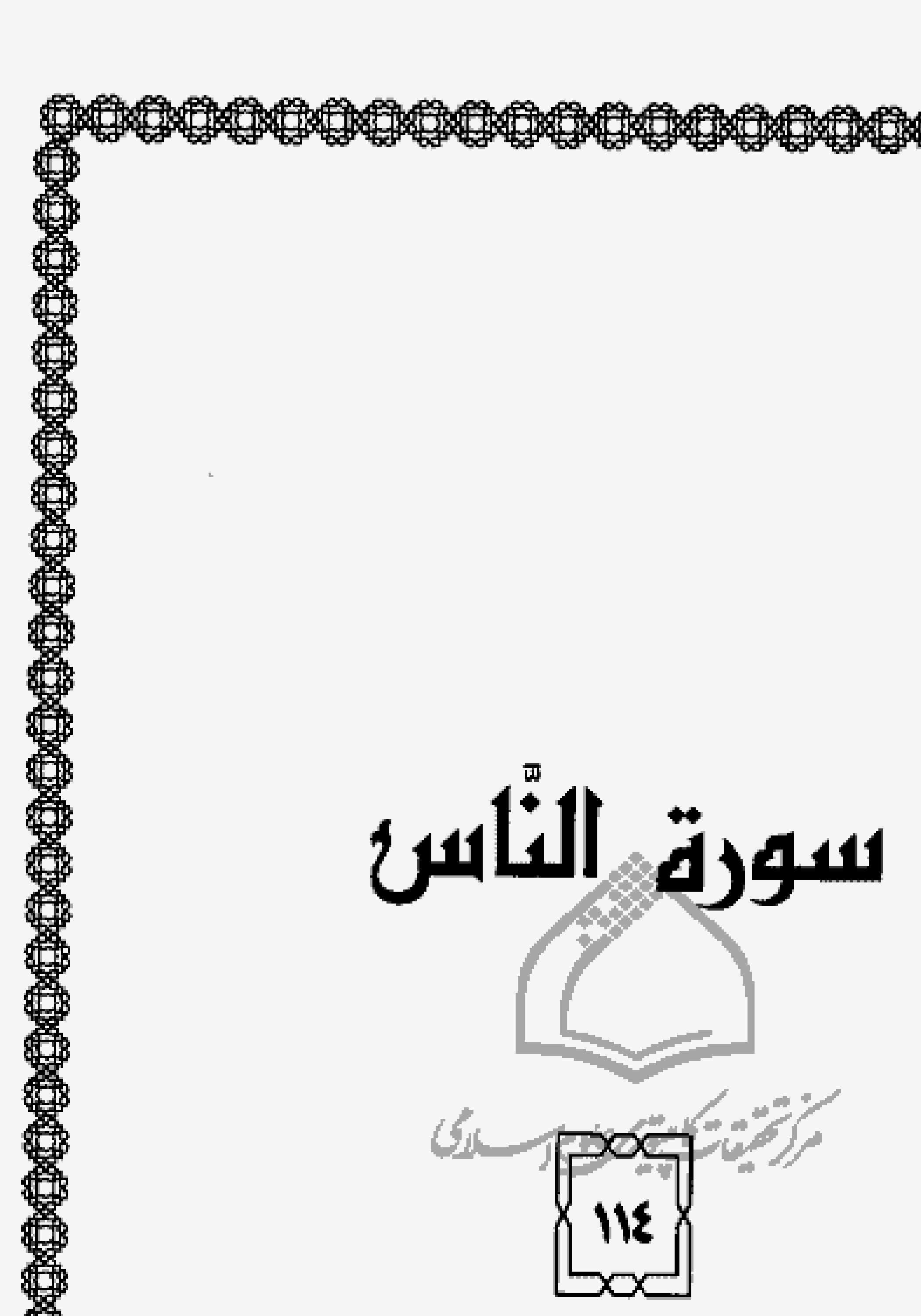
وهذه استعارة على أحد التأويلين، وهو أن يكون المراد بذلك، في قول بعضهم، الاستعاذة من شرّ النساء، اللاتي يفسخن عزائم الرجال بمكرهنّ، وينقضن أيديهم بكيدهن، وعُقَد الرجال هنا كناية عن عزائمها، ومواضع الثبات والتماسك منها، وذلك تشبيه بما يلقيه النافث من ريقه على العقدة، تكون في الحبل، ليسهل انحلالها، وينطلق انعقادها.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.

(1) يستدلق: يستخرج.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة النّاس



١١٤


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «الناس»(*)

سورة النّاس سورة مكّيّة آياتها ست، نزلت بعد سورة العَلَق.

وهي سورة يلجأ فيها المؤمن الى الله سبحانه وتعالى، ويعتصم به من وساوس الشيطان، الذي يوسوس في صدور الناس خِفْيَةً وسرّاً، وهو أنواع منه، شياطين الأنس ومنه شياطين الجن.

مفردات السورة

﴿أَعُوذُ﴾ [الآية ١]: ألجأ وأستجير.

الرب: هو المُربّي، والموجّه والراعي والحامي.

﴿مَلِكِ﴾: هو الملك الحاكم المتصرف.

الإله: هو المستعلي المستولي المتسلّط، المعبود بحق.

﴿الْوَسْوَاسِ﴾ [الآية ٤]: الشيطان يوسوس للناس، ويزيّن لهم الشر والمعصية.

﴿الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾: صفة الشيطان من الخَنَس، وهو الابتعاد والاختفاء عند ذكر الله تعالى.

﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾﴾: بالإغراء بالمعاصي والحض على الشرّ.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾: أي من شياطين الجن والأنس.

مع آيات السورة

[الآية ١]: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

ٱلنَّاسِ ﴿١﴾: ألجأ وأتحصّن بالله خالق الخلق، والمتفضّل عليهم بالنعم والجود.

[الآية ٢]: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾﴾: فهو مَلِكُهم وآخذ ناصيتهم بيده، وهو الخالق الرازق، مرسل الرسل، ومنزل الشرائع، والحاكم المتصرّف، الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون.

[الآية ٣]: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ هو معبودهم بحقّ، وملاذهم إذا ضاق الأمر.

[الآية ٤]: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾: أصل الوسوسة الصوت الخفيّ، وقد قيل لأصوات الحَلْي عند الحركة وسوسة. و﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ هو الشيطان الموسوس، الذي يوحي بالشر، ويهمس بالإثم، والخُنوس: الاختفاء والرُّجوع. والخنّاس هو الذي من طبعه كثرة الخُنوس. أي نعوذ بالله من وسوسة الشيطان، الذي يغري بالمعاصي والمفاسد، ويلقي بالشرور في قلوب الغافلين، ويغري بانتهاك الحرمات من طريق الشهوات.

[الآية ٥]: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾ أي يجول في الصدور، ويجري من ابن آدم مجرى الدّم؛ وخصّ الصدور بالوسوسة، لأنّها محّل القلوب؛ والقلوب مجال الخواطر والهواجس؛ وإنّ ذلك الشيطان الذي يجثم على قلب ابن آدم ويتسلّط عليه، إذا أصابته الغفلة، هو من الضعف بمكان، فإذا ذكرت الله خَنَسَ ورَجَعَ، وإذا حكّمت عقلك وانتصرت للحق، ضَعُفَ كيد الشيطان، قال تعالى: ﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ [النساء]. و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف]. ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

[الآية ٦]: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ هذا الوسواس الذي يغري بالشر قسمان: القسم الأول: الجنّة الخفيّة تخطر للإنسان في صورة خواطر، توعز بالشرّ وتغري بالإثم، وتزيّن الخطيئة.

والقسم الثاني: النّاس الذين يندسّون في الصدور اندساس الجنّة، ويوسوسون وسوسة الشيطان، ومنهم

رفيق السوء: الذي يجرُ رفيقَهُ إلى الانحراف، ويغريه بالفساد.

وحاشية الشر: التى توسوس لكلّ ذي سلطان، حتى تتركه جبّاراً طاغياً مفسداً ظالماً.

والنمّام الواشي: الذي يزيّن الكلام ويزيّفه، حتّى يبدو كأنّه الحق الصُراح.

وبائع الشهوات: الذي يندسّ في منافذ الغريزة، في إغراء لا تدفعه، إلاّ يقظة القلب، وعون الله.

وعشرات من الموسوسين الخنّاسين، الذين ينصبون الأحابيل ويخفونها، وهم شرّ من الجنة، وأخفى منهم دبيباً.

والإنسان عاجز عن دفع الوسوسة الخفيّة، ومن ثم يدلُه الله على عُدّتِه، وجُنّتِه وسلاحِهِ في المعركة الرهيبة. والمؤمن يستمد قوّته من يقينه بربه، وثِقَتِه بقدرتِه، وتَحَصُّنِه بحماه، واستعاذتِه بالله من شرّ الوسواس الخناس، الذي يَخنِسُ، ويَضعُفُ أمام قوّةِ الإيمانِ والاستعانة بالرّحمٰن، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحِجر].

إنّ الصراع بين الخير والشر مستمر في هذه الحياة. وهناك جنود للرحمٰن هي المعونة والتثبيت، وشرح الصدر للإيمان واليقين، والعزيمة الصادقة، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. وهناك طريق للشيطان، يتولّى على الضعفاء.

وستظل هذه المعركة ما بقيت السماوات والأرض. يحاول الشيطان أن يُضِلَّ النّاس ويوسوس لهم؛ وينصب الله للناس أدلّة الهدى والرّشاد من العقل والحكمة، والرسالات السماوية، وأئمة الحق، والدعاة والهداة.

وقد ذكر القرآن ذلك في كثير من الآيات. قال تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف].

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور/ ٢١].

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء].

﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء].

﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء].

مقصود سورة الناس

١ ـ التحصن بجلال الله وقدرته والاعتصام به: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران].

٢ ـ الشيطان يوجه همته وجنوده، لإغراء بني آدم.

٣ ـ رفقاء السوء، ودعاة الشر، هم أعوان الشيطان.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، اللّهمّ لك الحمد حمداً كثيراً طيّباً مُباركاً فيه، ولك الشكرُ ولك الثناء الحَسَنُ الجميل.

اللّهمّ اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وذَهاب غمّنا وحزننا، اللهم أكرِمْنا بالقرآن، وبنور القرآن، وبركة القرآن، وتلاوة القرآن، اللهم حبّب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس].

﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات].

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الناس»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة النّاس، بعد سورة الفَلَق، وقد نزلت سورة الفَلَق، فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة النّاس، في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وتبلغ آياتها ست آيات.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة، تخصيص الله تعالى بالاستعاذة أيضاً، وقد كانت السورة السابقة في تخصيصه بالاستعاذة من الشرّ البدنيّ كالمرض ونحوه، وهو يكون من الناس بعضهم لبعض؛ وهذه السورة في تخصيصه تعالى بالاستعاذة من شرّ الإغواء على المعاصي، وهو يكون من شياطين الجن والإنس؛ وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعد السورة السابقة، وقد افتُتِحَ القرآن بحمده تعالى في سورة الفاتحة، وخُتِمَ بالاستعاذة به في هاتين السورتين، والحمد يناسب الابتداء، والاستعاذة تناسب الختام.

تخصيص الله بالاستعاذة من شر الإغواء الآيات [١ ـ ٦]

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فأمر النبي (ص)، أن

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

يخصّه بالاستعاذة من شرّ الوسواس الـخنّـاس، أي الـذي يـتـأخـر عـن الوسوسة، ثمّ يرجع إليها مرّة بعد مرّة،

وهو الذي يُوَسْوِسُ في صدور الناس: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.



مكنونات سورة «الناس»(*)

١ ـ ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾.

هو الشيطان. كما أخرجه ابنُ جرير[1] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، وهذا آخر ما أردنا إيراده، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحمات الأقران في مُبْهمات القرآن» للسّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٢٢٨.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني اللغوية في سورة «الناس»(*)

قال تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ تقول: «مَلِكُ بَيِّنُ المُلْكِ» الميم مضمومة. وتقول: «مَالِكٌ بَيِّنُ المَلْكِ» و«المِلْكِ» بفتح الميم وكسرها. وزعموا أن ضمّ الميم لغة في هذا المعنى.

وقوله تعالى: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ بدل من ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أي: «مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ من الجِنَّةِ والنَّاسِ». و «الجِنَّةُ» هم: الجِنّ.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «الناس»(*)

إن قيل: لم خُصَّ الناس بالذِّكر في قــولــه تــعــالــى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وهــو ربّ كــل شــيء، ومالكه وإلهه؟

قلنا: إنما خصّهم بالذكر تشريفاً لهم وتفضيلاً على غيرهم، لأنهم أهل العقل والتمييز. الثاني: أنه لمّا أمر تعالى بالاستعاذة من شرّهم، ذكر مع ذلك أنه ربّهم، ليُعلم أنه هو الذي يعيذ من شرهم. الثالث: أن الاستعاذة وقعت من شر المُوَسْوِس إلى الناس، بربّهم الذي هو إلههم ومعبودهم، كما يستغيث بلا مشابهة بعض العبيد، اذا اعتراه خطب، بسيّده، ووليّ أمره.

فإن قيل: هل قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بـيـان لـلـذي يوسوس على أن الشيطان الموسوِس ضربان جنّي وإنسي، كما قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام/ ١١٢] أو بيان للنّاس الذين أضيفت الوسوسة إلى صدورهم، ولفظ (النّاس) المذكور آخراً بمعنى الإنس؟

قلنا: قال بعض أئمة التفسير: المراد المعنى الأول، كأنّ المعنى: من شرّ الوسواس الجنّي، ومن شرّ الوسواس الإنسيّ، فهو استعاذة بالله تعالى من شر المُوَسْوِسين من الجنسين، وهو اختيار الزّجاج؛ وفي هذا الوجه إطلاق لفظ الخنّاس على الإنسي؛ والنّقل أنه اسم للجنّي. وقال بعضهم: المراد المعنى الثاني؛ كأن المعنى: من شرّ الوسواس الجنّي الذي يوسوس في صدور الناس

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.

من جنّهم وإنسهم، فسمّى الجنّ ناساً، كما سمّاهم نفراً ورجالاً، في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن/١]، وقوله تعالى: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن/٦] فهو استعاذة بالله، من شرّ الوسواس، الذي يُوَسْوِس في صدور الجِنّ، كما يوسوس في صدور الإنس، وهو اختيار الفَرّاء؛ والمراد من الجِنّة هنا الشياطين من الجنّ على الوجه الأول، ومطلق الجن على الوجه الثاني؛ لأن الشيطان منهم، هو الذي يُوَسوِس لا غيره، ومطلقهم يوسوس إليه. واختار الزّمخشري الوجه الأول، وقال: ما أحقّ أن اسم الناس ينطلق على الجن، لأنّ الجن سُمُوا جِنّاً لاجتنانهم: أي لاستتارهم، والنّاس سمّوا أناساً لظهورهم من الإيناس وهو الإبصار؛ كما سمّوا بشراً لظهورهم من البشرة؛ ولو صحّ هذا الإطلاق، لم يكن هذا المجمل مناسباً لفصاحة القرآن. قال: وأجودُ منه أن يراد «بالناس» الأول الناسي كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر/٦].

المبحث السادس

المعاني المجازية في سورة «الناس»[*]

في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ استعارة، والمراد بالوسواس هنا، الكلام الخَفِيُّ الذي يلقيه الشيطان أو الإنسان الشبيه به، في أقصى أذُنِ السامع، فيلفِتُه عن رشادٍ، ويصرفه الى ضلال، والوسوسة كالهمهمة، قال رؤبة:

وسوس يدعو مخلصاً ربَّ الفلق[1].

والخَناس هنا، صفة للوسواس، والمراد به الذي يَخْنِسُ في القلب، ويسكن في الصدر، أي يستتر ويَستَجِنُّ، يقال خَنَسَ فلانٌ عن أصحابهِ، يَخْنِسُ خِناساً وخُنوساً إذا تغيَّبَ عنهم، وقد قيل إن الوسواس هنا اسم للشيطان نفسه، فيجوز أن يكون إنما سمّي بفعله، لكثرة وقوعه منه، وشيوعِهِ عنه، وقيل: الوسواس بالفتح الشيطان، والوِسواس بالكسر المصدر. وجاء في الخبر أن الشيطان يوسوس في العبد، فإذا ذكر العبد ربَّه خَنَسَ، وقبَع، وانقبض، وقيل أيضاً إن المراد مِنْ شرّ ذي الوسواس، وهو الشيطان، أو الإنسان، فحذف «ذي» لدلالة الكلام عليه، وإشارته إليه.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) جاء الشطر الثاني لهذا الرجز غير واضح، فآثرنا حذفه من هنا، لأنه غير موضع استشهاد.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهـــرس

سورة «الضحى»

سورة «الشرح»

«سورة التين»

سورة «التكاثر»

سورة «العصر»

سورة «الهُمَزَة»

سورة «قريش»

سورة «الماعون»

سورة «الكوثر»

سورة «الكافرون»

سورة «الإخلاص»

سورة «الفلق»


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

